الباب الثاني

عبد الناصر وحركات التحرر العربيّ

ودوره في تدعيم الثورات ومناصرة القضايا العربية

ومناهضة الاستعمار

الفصل الأول : عبد الناصر ومساندة الحركات والثورات العربية في فلسطين والجزائر واليمن والعراق والسودان وليبيا

الفصل الثاني : عبد الناصر ومناصرة القضايا العربية ومناهضة الاستعمار

obeikan.com

obeikan.com

تمهيد مطلوب

ومما لا شك فيه أن قضية فلسطين كانت لها مكانة هامة وموضع خاص في فكر جمال عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠)، وثقافته الفكرية الوحدوية.. فقد فجرت عنده الوعي بالعروبة، والشعور المتدفق بالانتماء للأمة العربية الواحدة في مرحلة مبكرة في حياته، ويبدو ذلك واضحًا في كتابه: «فلسفة الثورة»، كما أسلفنا من قبل .. كما أن حصاره في جيب الفالوجا، وفي مناخ هذا الحصار الشديد، وأجواء حرب ١٩٤٨ ألتقى عبد الناصر مع العديد من الضباط العراقيين والأردنيين، وتعايش مع القرى الفلسطينية وأهليها القريبة منه أثناء المعارك والحصار.

– وبعد أن عاد – بعد الحصار – والتأمل بشأنه انتابه شعور بالمرارة شديد ومضض، وإحساس بالانتماء بأن العرب يخوضون معركة واحدة.. وواضح من استقراء ومتابعة حركات حياته أن عبد الناصر كان يدرك أبعاد القضية منذ وقت مبكر.. فقد كان لثورة ٢٣ يوليو – أيضًا – اهتمام خاص بقضية فلسطين، والتي كانت أحد المجالات المهمة، والتي مارست فيها مصر عروبتها بشكل واضح، وإذا كانت فلسطين قد احتلت مكانًا خاصًا في فكر القيادة، فإنها بلورت لديها وعيًا «مبكرًا» بالعلاقة العضوية بين أمن مصر والأمن القومي العربي بصفة عامة[1].

– ويقول محمد حسنين هيكل في حقيقة دور مصر: «وعندما أخذت مصر

(١) د. فؤاد المرسي خاطر : حول الفكرة العربية في مصر، ص٢٠٨.

دورًا رئيسيًا في هذا الصراع ، فإن ذلك لم يكن تطوعًا بالخير ، وإنما كان ضرورة تمليها الحقائق التاريخية والإستراتيجية وأسباب القوة باختلاف أنواعها ، والتماسك الاجتماعي لكتلة إنسانية حية تدرك أهمية موضوعها وموقعها ، حتى وإن كان إدراكها – أحيانًا – بالحدس أكثر من اليقين»[1].

– وفي الأوراق التالية سوف نناقش دور عبد الناصر في مساندة حركات التحرر العربي والثورات في العالم العربي ، وأيضًا مناصرته للقضايا العربية ، ومناهضة الاستعمار ، ومحاولاته الدؤوبة لتصفيته من خلال قيامه بهذه الأدوار الهامة في مساندة وتدعيم حركات التحرير وتفجير الثورات العربية على أرض الوطن العربي.

(1) محمد حسنين هيكل: سلام الأوهام أوسلو ما قبلها وما بعدها ، الكتاب الثالث من المفاوضات السريّة بين العرب وإسرائيل ، دار الشروق ، الطبعة الثالثة ، ١٠ نوفمبر ، ١٩٩٦ ، ص١٥.

الفصل الأول

عبد الناصر وحركات التحرر العربي ومساندة الثورات العربية

١

عبد الناصر ومنظمة التحرير الفلسطينية

في مؤتمر القمة العربي «الأول»، والذي عقد بالقاهرة في شهر يناير ١٩٦٤ تقدمت مصر (عبد الناصر) باقتراح إنشاء كيان فلسطيني مستقل عن الأقطار العربية وأنظمتها الحاكمة باسم: «منظمة تحرير فلسطين»، وكان الاسم الذي وقع عليه المؤتمر، ووافق على اختياره لرئاسة «المنظمة» هو أحمد الشقيري، والذي كان شخصية معروفة – كما يذكر هيكل – بحكم أنه كان سفيرًا في مرحلة من المراحل لدولتي سوريا والسعودية لدى الأمم المتحدة[١].

– وكان في فترة الستينيات من القرن العشرين – وقبل وبعد– إنشاء منظمة التحرير برئاسة الشقيري ظهرت في المحيط العربيّ الفلسطيني داخل الأراضي

(١) محمد حسنين هيكل: سلام الأوهام أوسلو ما قبلها وما بعدها، ص١٦، الكتاب الثالث من كتاب المناقضات السريّة بين العرب وإسرائيل، دار الشرق، الطبعة الثالثة، نوفمبر، ١٩٩٦.

المحتلة وخارجها مجموعة من التنظيمات الشعبية الفلسطينية ، أخذت بمذهب القتال المسلح؛ لإنقاذ وتحرير أرض فلسطين من مغتصبيها ، وكانت حركة «فتح» من أشهر هذه التنظيمات على الساحة الفلسطينية[١].

- وكان أبرز مجموعة فتح الشبابية ، والتي أنشأت نواة «فتح» بدولة الكويت: ياسر عرفات (١٩٢٩ - ٢٠٠٤) (مهندس) ، وصلاح خلف (مدرس رياضيات) ، وخالد الحسن (وكيل شركة للأدوات الكهربائية بدولة الكويت) ، وخليل الوزير (مدرس علوم) ، وفاروق قدومي (مدرس رياضيات) ، وكان هناك آخرون من نفس النوع ، ونفس المحيط ، واستطاع هؤلاء الشباب أن يشدوا إلى جوارهم ويجذبوا مجموعة من الشباب المتحمس لتحرير الأرض الفلسطينية «المغتصبة» ؛ حيث قرروا إنشاء ما أسموه : «حركة تحرير فلسطين» ، والذي تم اختصارها إلى حتف ، ثم إلى فتح ؛ حيث تصوروا أن ذلك يعطي للحروف المختصرة معنى معبأ بالإيحاءات باللغة العربية[٢].

- وكانت الجذور الأولى لحركة التحرير الفلسطيني «فتح» - كما يذكر العديد من الباحثين - في شهر أكتوبر ١٩٥٧م إثر العدوان الثلاثي (إسرائيل - فرنسا - إنجلترا) على مصر عام ١٩٥٦ ، واحتلال إسرائيل لقطاع غزة إذ اقتنع

(1) محمد حسنين هيكل: مرجع سابق ذكره ، ص١٦.

(2) محمد حسنين هيكل: مرجع سابق ذكره ، ص١٧.

الفلسطينيون وأيقنوا أهمية الاعتماد على أنفسهم في مقاومة إسرائيل «الصهيونية».. وظلت الحركة تعمل سرًا حتى عام ١٩٦٥ ، حين أذيع أن ياسر عرفات هو الناطق الإعلامي للحركة.. وكانت بداية الحركة «فتح» عبر تأسيس خلايا «سريّة» في الخمسينيات ، وبداية الستينيات من القرن العشرين في سوريا ولبنان والأردن ودول الخليج العربي ؛ حيث يعمل الفلسطينيون[١] .

- ويمكن القول مع بعض الباحثين بأن مكتب التأسيس في دولة الكويت كان الأقوى تأثيرًا في حركة التنظيم ومستوى الأداء ؛ حيث كان يصدر نشرة «شبه دورية» من دولة لبنان تسمى باسم «فلسطيننا» ، والتي استمرت في الصدور والنشر من نوفمبر ١٩٥٩ وحتى نوفمبر ١٩٦٤ بإشراف مجموعة الحركة القاطنين بالكويت ، وكان الإمضاء والتوقيع على النشرة بعكس حروف «حتف» أي: الموت ، في إشارة لمعنى التضحية والفداء ، فكان المكتوب: «ف. ت. ح» ، واتخذت النشرة خطًا واضحًا منذ بداية ظهورها ، فأعلنت استقلاليتها «الشاملة» عن كل الأنظمة العربيّة ، ورفض أي عمل من أعمال الوصايا العربية على الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة ، نافية أن يكون الكيان الخاص شرذمة للعمل العربي ، ومؤكدة أنه مقصود به تعبئة وشحن لشعب فلسطين المشتت بين أرجاء الوطن العربي[٢] .

- وقد التقى جمال عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) بقيادة فتح بعد حرب

---

(1) عبير ياسين ومحمد جمعة : منظمة فتح ومنظور التسوية السلمية في كتاب الفصائل الفلسطينية من النشأة إلى حوارات الهدنة (المحرر صبحي عسيلة) ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، الأهرام، القاهرة ، طبعة عام ٢٠٠٥ ، ص١٤.

(2) عبير ياسين ومحمد جمعة : مرجع سابق ذكره ، ص ١٤ ، ١٥ .

يونيو ١٩٦٧ ، بعد أن اشتركت مع بعض القيادات العربية – كما يذكر هيكل – في حرب التوريط ، وقد وعدهم «عبد الناصر» بتقديم كل المساعدات الممكنة لـ «فتح» في مقابل مطلب واحد ، وهو أن تنطلق رصاصة واحدة كل يوم في الأراضي المحتلة ، بحيث يسمع صوتها ويذيع خبرها[١].

– ولم يكتف عبد الناصر بتدعيم منظمة تحرير فلسطين عسكريًا ، وإنما أيضًا قيامه بمحاولات رأب الصدع الفلسطيني ، والذي انهار في دورة المؤتمر الفلسطيني المنعقد في القاهرة في شهر ديسمبر ١٩٦٧ في مبنى الجامعة العربية ، والذي في أثره قدم أحمد الشقيري استقالته .. بل نجح عبد الناصر في تقديم منظمة التحرير الفلسطيني للمجتمع الدولي ؛ لكي تكتسب الشرعية Legality وقبول الرأي العام ؛ لكي تكون حركة تحرر وطني.

– وقد بدأ عبد الناصر بالاتحاد السوفيتي في عام ١٩٦٨ ؛ حيث اصطحب معه ياسر عرفات (بعد أن تولى شأن المنظمة) ، ورغم اعتراض القيادة السوفيتية، إلا أنه وبعد تدخل عبد الناصر لدى القيادة السوفيتية نجح في تقديم العون العسكري لـ «فتح» ، والتعامل مع عرفات ورفاقه[٢].

– كما كان لمصر (في عهد عبد الناصر) دور بارز ومستمر في عرض القضية الفلسطينية أمام المحافل الدولية ، ولدى المنابر العالمية ؛ حيث أيدت على الدوام حقوق الشعب الفلسطيني ، وحثت المجتمع الدولي على القيام بدوره في حل القضية الفلسطينية ، فطرحت القضية من خلال حركة عدم الانحياز ، والذي

(1) محمد حسنين هيكل : سلام الأوهام ، الكتاب الثالث ، ص١٩.

(2) محمد حسنين هيكل: مرجع سابق ذكره ، ص٢٣.

كان عبد الناصر أحد مؤسسيها ، فكان ضمن مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ تأييد حقوق الشعب الفلسطيني ، ودعوة المجتمع الدولي ؛ لتطبيق قرارات الأمم المتحدة بشأن اللاجئين الفلسطينيين[١].

- وأمام الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة قال عبد الناصر في خطابه في سبتمبر ١٩٦٠ : «لابد أن تتحمل الأمم المتحدة مسؤوليتها تجاه فلسطين وشعبها العربي ، تلك أبسط حقوق ذلك الشعب الباسل ، الذي يواجه في القرن العشرين محنة لم نسمع بمثلها في أظلم عصور التاريخ ، وذلك هو الحل الوحيد لمشكلة اللاجئين من أبناء هذا الشعب ، وأن الأمم المتحدة هنا تعلم من سوء أحوالهم ما يكفي لرسم صورة محزنة للظلام ، الذي يحيط بمليون من البشر ، طردوا من أوطانهم وديارهم ، وسلبوا كل ما كان يملكون ، بل كل حياتهم»[٢].

- ومع احتلال إسرائيل «الصهيونية» لأراضي دول عربيّة إثر عدوان ٥ يونيو/ حزيران ١٩٦٧ ، وبضمها اغتصابًا أراضي مصر الدولة العربية الأفريقية الكبيرة - كما يذكر محمد رشاد شريف - وانكشاف الطبيعة التوسعية العدوانية للكيان الصهيوني ، وارتباطه بالإستراتيجيات الإمبريالية على الصعد الإقليمية والدولية ، والدور التخريبي الذي يلعبه الكيان الصهيوني في القارة الأفريقية،

(1) د. فؤاد المرسي خاطر : الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو ، دراسة تاريخية» (تحرير د. رءوف عباس حامد) ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، الأهرام ، يوليو ، ١٩٩٢ ، ص٢١١.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ص٢١١.

وصلاته الوثيقة العنصرية في جنوب أفريقيا وروديسيا «زيمبابوي حاليًا»، وتصاعد وتعاظم التأييد الأفريقي للقضايا العربية، وللقضية الفلسطينية على وجه الخصوص.

- وقد برز ذلك واضحًا في إدراج منظمة الوحدة الأفريقية O.A.U لقضية الشرق الأوسط Middle East - لأول مرة - على جدول أعمال مؤتمرها، الذي تم انعقاده عام ١٩٦٩، وتأكيدها التضامن مع مصر والدول العربية في سعيها لتحرير الأرض العربية «المحتلة»، وهو ما عادت وأكدته ثانية في مؤتمرها التالي في عام ١٩٦٩، وتأكيدها التضامن مع مصر والدول العربية في سعيها لتحرير الأرض العربية «المحتلة»، وهو ما عادت وأكدته ثانية في مؤتمرها التالي في عام ١٩٧٠[1].

- كما ساعدت مصر بقوة الفلسطينيين على إقامة تنظيماتهم الأخرى لتدعيم الكيان الفلسطيني مثل الاتحاد العام لطلاب فلسطين، والاتحاد العام لعمال فلسطين، والاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، والاتحاد العام لكتاب فلسطين،

(1) وقد وصل التضامن الأفريقي مع القضية العربية ذروته، حين اتخذت منظمة الوحدة الإفريقية OAU قرارها التاريخي في ٢١/ ١١/ ١٩٧٣، والذي دعت فيه أعضاء المنظمة إلى «فرض حظر اقتصادي كامل على إسرائيل والبرتغال وجنوب أفريقيا وروديسيا، وإلى إقامة علاقات وثيقة بين أعضاء منظمة الوحدة الأفريقية، وجامعة الدول العربية»... وجاء عقد اتفاق كامب ديفيد بين مصر والكيان الصهيوني عام ١٩٧٩ والتعثر الذي أصاب التعاون العربي الأفريقي منذ عام ١٩٧٦؛ ليعيد الحياة إلى شرايين العلاقات الأفريقية الإسرائيلية المقطوعة!!! انظر دراسة محمد رشاد شريف بعنوان: «الموقف الأفريقي من القضايا العربية قضيتا فلسطين ولوكربي (نموذجًا)» بمجلة معلومات دولية العدد ٦١ صيف ١٩٩٩ - تصدر عن مركز المعلومات القومي في الجمهورية العربية السورية، ص ٥٤، ٥٥.

وهي الاتحادات والتي أرادت منظمة التحرير الفلسطينية – كما يذهب فؤاد المرسي خاطر – أن تنظم من خلالها الطوائف الفلسطينية رغبة منها في توحيد الهدف المحدد، وهو التحرير «وفي كل هذا كانت القاهرة تفتح صدرها لهذه التنظيمات أو الفروع المنبثقة منها»[1].

– وقد انزلقت حركة فتح مع الفصائل الفلسطينية الأخرى إلى نشوء أزمة Crisis، وإحداث معضلة، بسبب قبول مصر (عبد الناصر) مبادرة روجرز، والتي كانت تطلب وقف حرب الاستنزاف بين مصر وإسرائيل لمدة تسعين يومًا، وتنشيط مهمة الأمم المتحدة UN للوصول إلى حل على أساس قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧، والذي نص صراحة على كل دولة State من كل دول المنطقة العيش داخل حدود آمنة ومعترف بها من جانب كل الدول الأخرى، وأكد على أن إنجاز ميثاق الأمم المتحدة يتطلب إنشاء سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط Middle East، ويجب أن يتضمن ذلك تطبيق المبادئ التالية:-

١ – انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من الأراضي المحتلة في حربها في ٥ يونيو / حزيران عام ١٩٦٧.

٢ – إنهاء حالة الحرب War، والاعتراف بسيادة واستقلال أراضي كل دول المنطقة، وبحقها في العيش بسلام في حدودٍ آمنة، ومعترف بها، ومتحررة من

(1) فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب أربعون عامًا على ثورة يوليو، دراسة تاريخية (تحرير د. رءوف عباس حامد)، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، يوليو ١٩٩٢، ص٢١٣.

التهديد بالعنف.

٣- إجراء اتصالات مع الدول المعنية من أجل الوصول إلى اتفاق، والمساعدة في سبيل تحقيق تسوية عادلة ومقبولة استنادًا إلى بنود ومبادئ هذا القرار[١].

- وكان جمال عبد الناصر قد رأى قبول هذه المبادرة، وفي حسابه وتصوراته السياسيّة أنها تعطيه فرصة معقولة لإكمال حائط الصواريخ.. ومن ثمّ.. وكما يقول محمد حسنين هيكل: «تعطيه فرصة أكثر كفاءة لعمليات أوسع في القتال والحرب جرى التخطيط والإعداد لها، لكن فصائل المقاومة الفلسطينية جميعًا بما فيها منظمة فتح عارضت ذلك، وأخذت معارضتها إلى بعيد في التجاوز وشطط؛ حيث اعتبرت إذاعة فلسطين «في القاهرة» أن قبول مصر لمبادرة روجرز هو إعلان بالتخلي عن الحرب المسلحة !!![٢].

- ومع ذلك، وفي مجمل الأحداث كان التأييد الكامل من عبد الناصر «المادي - العسكري» لحركة المقاومة الفلسطينية، كما تم افتتاح إذاعة جديدة باسم «صوت العاصفة» الجناح العسكري لمنظمة فتح.

- وكان آخر مؤتمر عربي حضره عبد الناصر هو مؤتمر القاهرة، عندما

---

(1) اللواء أ. ح. د زكريا حسين: القضية الفلسطينية إلى أين؟ المواجهة العربية، الإسرائيلية بين الحرب والسلام عبر أكثر من نصف قرن، دار الهلال، ٢٠٠٥، ص١٢١.

(2) محمد حسنين هيكل: سلام الأوهام أوسلو ما قبلها وما بعدها، الكتاب الثالث من المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، دار الشروق، الطبعة الثالثة، ١٠ نوفمبر، ١٩٩٦، ص٢٤.

اندلعت نيران الحرب «الضروس» بين السلطة الأردنية وقوات المقاومة الفلسطينية في سبتمبر/ أيلول ١٩٧٠ ، حيث تناثرت أشلاء القتلى الفلسطينيين، وفقد آلاف الضحايا أرواحهم .. وقد حضر – هذا المؤتمر الأخير – رؤساء وملوك وممثلون عشر دول عربية ، واستطاع عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) في أوخريات المؤتمر أن يحقن الدماء العربية والفلسطينية ، رغم توتر المؤتمر ، وصخب جلساته ، وكانت هذه آخر خدمة في حياته- قدمها عبد الناصر للشعب الفلسطيني والعرب ، فقد وافته المنية في الثامن والعشرين من سبتمبر / أيلول ١٩٧٠ بعد أنّ قام بتوديع أمير الكويت[1].

(1) فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، في كتاب أربعون عامًا على ثورة يوليو ، دراسة تاريخية (تحرير د. رءوف عباس حامد) ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، يوليو ١٩٥٢ ، ص٢١٥.

٢

عبد الناصر وثورة الجزائر

- لم تكن علاقة مصر بالجزائر في عهد جمال عبد الناصر مثل العلاقة في عهد محمد علي باشا (حكم من ١٨٠٥ - ١٨٤٨)، بل هي متناقضة تمامًا، حيث إن محمد علي (١٧٦٩ - ١٨٤٩م) قد اتفق مع الفرنسيين (أخلص أصدقائه) على غزو الجزائر عام ١٨٢٩، ولكن لم ينفذ الاتفاق بسبب ضآلة التعويض، وعدم تناسبه، والذي عرضه الفرنسيون على محمد علي باشا والي مصر[١].

- وقد تعرضت الجزائر لمؤامرات فرنسا قبل احتلالها بوقت طويل، إذ اعتبر نابليون بونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١) الجزائر سوقًا خارجيًا ضرورية لتطوير الصناعة الفرنسية، وكان يضيفها دائمًا إلى قائمته الطويلة بممتلكاته المقبلة عندما يثار الجدل والنقاش حول مسألة تجزئة الإمبراطورية العثمانية.

- وقد استغلت فرنسا «ضربة المروحة» من الداي لقنصل فرنسا، وغزت الجزائر يوم ١٤ يونيو ١٨٣٠ بجيش فرنسي قوامه ٣٧ ألف جندي، نزل على

(١) أحمد حمروش: ثورة ٢٣ يوليه، مصر والعسكريون، مجتمع جمال عبد الناصر، عبد الناصر والعرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب (الجزء الأول)، طباعة عام ١٩٩٢، ص٩٨٨.

شاطئ خليج سيدي فرج ، وكانت المقاومة الجزائرية «شديدة» ، إلا أنها – كما ذكر أحمد حمروش – عديمة الجدوى، وفاقدة التأثير ، ولم تحول دون دخول القوات الفرنسية أرض الجزائر.

– وسرعان ما أعلن «لويس فيليب» ، الذي خلف شارل العاشر (بعد انهيار عرشه) ضم الجزائر إلى فرنسا عام ١٨٣٤ ، رغم أنه لم يكن في حيازة فرنسا واحتلالها وقتئذ إلا المدن الساحلية.

– ولم تخضع الجزائر لحكم دولة فرنسا إلا بعد أربعين عامًا شنت فيها حربًا دموية شديدة الوطأة ضد الشعب الجزائري ، قاد فيها النضال حرب الأنصار والأرض المحروقة ، الأمر الذي كبد القوات الفرنسية «الغازية» خسائر جمة ، ودفعتها إلى عقد معاهدة (دي ميشيل) في فبراير ١٨٣٤ اعترفت فيها بأن كل غرب الجزائر عدا ثلاث مدن ساحلية ، هي أرض تابعة للدولة العربية الجديدة برئاسة عبد القادر الجزائري (١٨٠٧ – ١٨٨٣) ، الذي لقب بأمير المؤمنين [١].

– وكان الأمير عبد القادر الجزائري مثالًا للقائد العربي البسيط ، والذي يعيش حياة متواضعة ، واستطاع بمهارة أن يحشد من رجال القبائل المتطوعين ٧٠.٠٠٠ رجل ، وكون جيشًا نظاميًا مدربًا من عشرة آلاف جندي.

– واستخدم الفرنسيون أبشع الوسائل لإبادة

(١) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (الجزء الأول) ، طباعة عام ١٩٩٢، ص٩٨٩.

القبائل الموالية للأمير عبد القادر الجزائري (١٨٠٧ – ١٨٨٣)، وتمكن الفرنسيون بعد أربع سنوات من نضال الجزائر المرير من إخضاع الأراضي الموالية للأمير عبد القادر إلى سلطتهم، ولجؤوا مع جماعة من زملائهم إلى مراكش، التي كانت تساعدهم – وقتئذ – خلال حربهم وقتالهم للقوات الفرنسية الغازيّة[١].

– وبعد الحرب العالمية الثانية، وما بعثته في العالم من روح تحريرية للمستعمرات في حضانة هيئة الأمم المتحدة UN، وما نسب في بعض دول منطقة التحرر الوطني، أخذت القوى الجزائرية المناضلة أن تبحث عن مخرج لها، ومساعدة من الدول العربية الأخرى باعتبارها عامل إسناد، ورافعة لأداء العمل التحرري الجزائري.

– وافتتح في القاهرة عام ١٩٥٠ خلال رئاسة الوفد (للحكومة المصريّة) مكتب المغرب العربيّ يضم ممثله لعدد من الأحزاب الوطنية في المغرب العربيّ .. حزب الاستقلال المغربي، ويمثله علال الفاسي (١٩٠٧ – ١٩٧٤)، وحزب الحر الدستوري في تونس، ويمثله الحبيب بورقيبة (١٩٠٣ – ٢٠٠٠)، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، والتي يقودها مصالي الحاج[٢].

– فقد كان الإفقار – كما تذكر نجلاء أبو عز الدين – إحدى سمات الحكم الاستعماري الفرنسي .. فقد نزعت ملكية مساحات شاسعة من الأراضي لتوطين المستعمرين، ولما كانت الأراضي مورد عيش لثلاثة أرباع السكان،

(1) أحمد حمروش : مرجع سابق ذكره، ص٩٩٠.
(2) أحمد حمروش : مرجع سابق ذكره، ص٩٩٤.

فقد قُضي بانتزاعها على الملايين من الجزائر بالفقر المدقع، وسيطرت المصالح الفرنسية الكبيرة على الصناعة والتجارة، كما سيطرت على شؤون الزراعة[1].

- ونستطيع أن نقول - مع فؤاد المرسي خاطر - إن وقوف الثورة المصريّة بقيادة عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) إلى جانب الجزائر منذ إعلانها الكفاح المسلح، وحتى حصولها على الاستقلال، كان هذا الوقوف المصري في مقدمة العوامل التي مكنت هذه الثورة Revolution من الانتصار واستقلال الإرادة الجزائرية في مواجهة الاستعمار الفرنسي[2].

- ويذكر محمد حسنين هيكل في كتابه «ملفات السويس» أنه قد وصل أحد الثوريين الجزائريين، وهو أحمد بن بيللا، وكان هذا الشاب الجزائري لا يتكلم العربية، وإنما يعبر عن نفسه باللغة الفرنسية، ويتخذ من ذلك دليلًا على جريمة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ومحاولته الدؤوب تغييب الهوية الجزائريّة عن طريق تغييب اللغة مناط الترابط الفكري والعروبي، وكان اسم هذا الشاب «مزياني مسعود»، وطلب مقابلة عبد الناصر، وذكر «مزياني» لـ «جمال عبد الناصر» أن اسمه الحقيقي أحمد بن بيللا، وهذا الاسم مستعار ليخفي نفسه من ملاحقة وبطش الاستعمار الفرنسي، ثم طلب مساعدة «مصر»، بعد أن قدم تصورًا كاملًا وتفصيليًا عن حركات التحرر الجزائري.. وبالفعل قامت مصر بتسليم ما يحتاجه من أسلحة عن طريق ليبيا[3].

---

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب، ترجمة فريد أبو عز الدين، دار المستقبل العربي، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ص ٢٣٨.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ص٢١٦.

(3) محمد حسنين هيكل: ملفات السويس حرب الثلاثين سنة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م، ص٢٨٥، ٢٨٦.

- وكانت قد شكلت في الجزائر (اللجنة الثوريّة للوحدة والعمل) من تسعة من القيادات هم: (أحمد بن بيللا ، حُسين آية أحمد ، العربي بن مهيدي ، محمد بوضياف (١٩١٩ - ١٩٩٢) ، مصطفى بن بولعيد ، رابح بيطاط ، ديدوش مراد، محمد خضير، كريم بلقاسم).

- وقد أعلن صوت العرب - من القاهرة - ساعة الصفر وبداية الثورة Revolution في أول نوفمبر ١٩٥٤ بإذاعة بيان جبهة التحرير الجزائرية المصاحب لتعمير ٢٤ قنبلة في أماكن مختلفة [١].

- وعند قيام الثورة الجزائرية أمر عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠) بصرف كميات من الأسلحة الخفيفة للثوار ، وحضر أحمد بن بيللا للتخطيط لأول عمليات الإمداد بالسلاح ، والتحضير لاستقبال هذا الإمداد للثوريين في الجزائر.. وكان بن بيللا قد حضر إلى القاهرة - كما أشرنا من قبل - مفوضًا من جماعة التنظيم السري لحزب الشعب بعد انشقاقهم على «مصالي الحاج» ، وكان يأمل في الحصول على دعم الثورة للنضال الجزائري [٢].

- وفور إعلان الثورة الجزائرية - كما أشرنا آنفا - بدأ صوت العرب حملة

---

(1) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه ، مصر والعسكريين ، مجتمع جمال عبد الناصر، عبد الناصر والعرب، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٢ ، ص٩٩٦.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب أربعون عامًا على ثورة يوليو ، دراسة تاريخية (تحرير د. رءوف عباس حامد) ، يوليو ١٩٩٢ ، ص٢١٦.

إعلامية للتعريف بالثورة وأهدافها ، وبدأت مصر في تقديم الدعم المالي للثورة Revolution .. فقدمت «القاهرة» في البداية أموال متواضعة في حدود ثمانية آلاف جنيه لشراء أسلحة خفيفة ، وإعدادها للتهريب إلى الجزائر .. وتزايدت الكميات بعد ذلك ، وكان للمساعدات العسكرية أهمية كبيرة للثورة ، وكانت تنقل عبر «طرابلس» ، فجنوب الجزائر ، وبعد استقلال تونس انفتح باب جديد سهل عمليات نقل المساعدات والأسلحة من مصر إلى الثوار الجزائريين ، حتى اضطرت فرنسا إلى إنشاء خط مكهرب على الحدود التونسية – الجزائرية ، فعادت إلى ولاية الصحراء أهميتها من جديد[1].

– والجدير بالذكر أنه ما كادت الشرارة الأولى للثورة Revolution تندلع بلهيبها وقنابلها في أول نوفمبر ١٩٥٤ مع بيان جبهة التحرير الجزائرية ، حتى وجدت أرضا خصبة وشعبًا متعطشًا للقتال والنضال والتضحية .. ووجدت بعض الأحزاب الإصلاحية أنه لم يعد أمامها من سبيل إلا الارتباط بالعمل الثوري التحرري لمواجهة المستعمر الفرنسي.

– وسرعان ما أعلن «فرحات عباس» عام ١٩٥٥ انضمام حزبه إلى جبهة التحرير، وانضم أيضًا المترددون من حزب «مصالي الحاج» (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) ، وهم الذين عارضوا (اللجنة الثورية للوحدة والعمل) ، وأخيرًا جمعية العلماء ، التي حافظت على تراث الشعب الجزائري وتقاليده ، والتي أعلن زعيمها عبد الحميد بن باديس (١٨٨٩ – ١٩٤٠) عام ١٩٣٠ عندما قويت دعوة الارتباط بين الجزائر وفرنسا قوله: «الشعب الجزائري ليس

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ص٢١٦.

هو فرنسا ، وحتى لو أراد لما استطاع ، لأنه شعب بعيدًا جدًا عن فرنسا بلغته وعاداته وأصله ودينه[1].

- وفي محاولة مصرية للتغلب على العقبات والعراقيل التي حرضت فرنسا وبريطانيا وأمريكا لوضعها في وجه تهريب السلاح عبر ليبيا ، استعانت مصر بقطع الأسطول البحري لتوصيل السلاح إلى الثوار الجزائريين ، كما قامت بالمساعدة على تدريب عدد من «الجزائريين» بين الثوار على حرب العصابات والاقتتال الشعبي ، وكان من بينهم : «أبو خروبة محمد هواري بومدين (١٩٣٢ - ١٩٧٨)»[2].

- وغني عن البيان أن «القاهرة» كانت حريصة كل الحرص على سلامة وتأمين القادة الجزائريين ، وكشف وإيضاح المؤامرات التي تحاك ضدهم وتدبر للإيقاع بهم سواء من الداخل الجزائري أو من الخارج[3].

- وعندما قامت فرنسا بخطف أحمد بن بيللا وعدد من رفاقه ، وهم على متن طائرة خاصة متوجهة من المغرب إلى تونس لحضور مؤتمر خاص بتأييد الكفاح الجزائري .. وكانت المخابرات «الفرنسية» قد أعدت عدتها لإجبار الطائرة المقلة بالثوار على الهبوط في مطار مدينة الجزائر في ٢٢ أكتوبر

(1) أحمد حمروش: ثورة ٢٣ يوليو ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٩٩٢، ص٩٩٧.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر : الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو دراسة تاريخية (تحرير د. رءوف عباس حامد) مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام، يوليو ١٩٩٢ ، ص٢١٦.

(3) د. فؤاد المرسي خاطر: مرجع سابق ذكره ، ص٢١٧.

عام ١٩٥٦ ، وحيث كان مع القادة الجزائريين (أحمد بن بيللا – محمد خيضر – حسين آية محمد – رابح بيطاط – محمد بوضياف (١٩١٩ – ١٩٩٢) وثائق هامة خاصة بجبهة التحرير.. وفور علم عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) بهذا الحادث أصدر تعليماته في ٢٣ أكتوبر بالاتصال بالسفارة المصريّة في تونس ، وتم الاتصال ببورقيبة والسلطان محمد الخامس (١٩١٠ – ١٩٦١) ، وطالبتهم باسم عبد الناصر باستخدام نفوذهما لدى السلطات الفرنسية بالإفراج عن الزعماء الجزائريين ، والتي تم وضعهم في ثاتو دو نوى بجزر الأنتيل!!!.

– غير أن القاهرة في نفس الوقت قامت بحملة دبلوماسية وإعلامية واسعة النطاق احتجاجًا على «القرصنة الفرنسية» الفاضحة ، وأكدت إذاعة صوت العرب على استمرار العمل الثوري الجزائري رغم حادث الاختطاف[1].

– ومن ثمَّ .. فقد كان «جي موليه» رئيس وزراء فرنسا مقتنعًا تمام الاقتناع بأن عبد الناصر هو المسؤول وحده تقريبًا عن الثورة الوطنية في الجزائر ، التي كانت قد بدأت عام ١٩٥٤ ، وكان جاك سوستل الحاكم العام الفرنسي للجزائر يجاهر طوال عام ١٩٥٥ بأن مصر – كما ذكر أنتوني ناتنج في كتابه «ناصر» : هي «رأس الأخطبوط الذي ظلت أذرعه لشهور طويلة جدًا تخنق شمال أفريقيا الفرنسي»[2].

(1) د. فؤاد المرسي خاطر : الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب.أربعون عامًا على ثورة يوليو ، دراسة تاريخية ، تحرير (د. رءوف عباس حامد) يوليو ١٩٩٢ ، ص٢١٧.

(2) أنتوني ناتنج : ناصر ، ترجمة شاكر إبراهيم سعيد ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣، ص١٥٨، ١٥٩.

– وقد أوفد عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) عبد القادر حاتم إلى «كريستيان بينو» وزير خارجية فرنسا يقترح على «بينو» اتفاقًا يكف فيه عبد الناصر عن مهاجمة الإمبريالية إذا ما توقفت عن تسليح إسرائيل (حيث مكنت فرنسا الهاجاناه «جيش إسرائيل السري» من التدريب سرًا فوق الأراضي الفرنسية، كما زودت الهاجاناه بالسلاح في قتالها ضد سلطات الانتداب البريطاني من منتصف الأربعينيات، ولم تشترك مع بريطانيا في منع رحيل المهاجرين اليهود إلى فلسطين)، غير أنّ رد «بينو» على ذلك هو أنه لا يمكن عقد اتفاق ما لم توقف مصر مساعدتها لثوار الجزائر، الأمر الذي رفضه عبد الناصر رفضًا قاطعًا[1].

– ويذكر ناتنج في كتابه «ناصر» بأنه: «عندما التقى بينو وزير خارجية فرنسا بعبد الناصر وجهًا لوجه، وجد أنه يختلف تمامًا عما كان يتوقع إذ كان بعيدًا عن نمط ديماجوجية هتلر (١٨٨٩ – ١٩٤٥)، التي كان يتخيلها موليه (رئيس وزراء فرنسا)، فقد بدا لبينو قوميًا عربيًا، ثابت العزم، منطقيًا، وأن اهتمامه الرئيسي بالجزائريين ينصب على ضرورة أن تترك لهم حرية تقرير مستقبلهم، وتحديد الشكل الذي يرتبطون به في المستقبل بفرنسا إذا ما رغبوا في ذلك، ورفض صراحة أن يتعهد بأن توقف مصر إرسال أسلحة إلى الثوار»[2].

– ولم يكن يتوقف دور مصر في مساندة الثورة الجزائرية على الناحية التسليحية واللوجستية وفقط، ولكن قامت بمساعدتها في المحافل الدولية،

(1) أنتوني ناتنج: مرجع سابق ذكره، ص١٦٠.

(2) أنتوني ناتنج: ناصر ترجمة شاكر إبراهيم سعيد، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية عام ١٩٩٣، ص١٦٠.

وفي المجال العالمي ، وفي كافة المؤتمرات التي شاركت فيها مصر كانت قضية الجزائر من بين بنود الأساسية في بيانات ومباحثات القيادة المصرية في هذه المؤتمرات.

– ففي مؤتمر باندونج (أبريل عام ١٩٥٥) تحطمت أسطورة الجزائر «الفرنسية» ، وأعلن بيان جبهة التحرير الجزائرية بأن قاعدتها الأساسية والحركية تقوم في البلاد العربية – وخاصة مصر – كما تقدمت مصر (عبد الناصر) باقتراح للمؤتمر حظى بإجماع الحاضرين بالمؤتمر طالبت فيه – مصر – بحقوق تونس والجزائر والمغرب ، وطالبت فيه بالسعي لإيجاد تسوية سلمية مع هذه البلاد على وجه السرعة[١].

– وفي مؤتمر بريوني (يونيو ١٩٥٦) قدمت جبهة التحرير الجزائرية إلى تيتو (١٨٩٢ – ١٩٨٠) وجواهر لآل نهرو (١٨٨٩ – ١٩٦٤) وعبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) مذكرة أكدت فيها أهدافها السلمية، وطالبت – في مذكرتها – بعودة السيادة الجزائرية، وممارسة هذه السيادة بصورة حركية ، وكاملة ، وبالاستقلال الكامل.. وقد بحث الزعماء في بريوني (يوغسلافيا) الوضع في الجزائر ، واعتبروه بالغ الأهمية ، ويتطلب اهتمامًا خاصًا وأمرًا عاجلًا من وجهة نظر الحقوق الطبيعية لشعب الجزائر، ولدعم السلام Peace في هذا الجزء من العالم ، وأبدى الزعماء تعاطفهم الشديد مع رغبة الجزائر في الحرية[٢].

– وقد قامت فرنسا بتزويد إسرائيل بكميات كبيرة من الأسلحة ، وزودتها

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ص٢١٨.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر : الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ص٢١٨.

بالطائرات المقاتلة لتقويتها ضد مصر، كما ساهمت مساهمة فعالة في حمل بريطانيا وأمريكا على التراجع عن تقديم تمويل السد العالي!!. وأخيرًا كان اشتراك فرنسا في العدوان الثلاثي ؛ بهدف تحطيم القيادة المصرية الممثلة في عبد الناصر ، والتي أصبحت رمزًا للقومية العربية ، وفي مقدمتها الجزائر من السير في معركة التحرير، والتخلص من الاستعمار Colonialism[1].

- وقد باء هذا العدوان الثلاثي (فرنسا - إنجلترا - إسرائيل) بالفشل المزري، ولم يحقق أهدافه الاستعمارية، والتي قام من أجلها ، وفي مقدمتها إعادة المنطقة ومصر بالذات إلى دائرة النفوذ الاستعماري ، وإسقاط قيادتها الثورية (جمال عبد الناصر) !!! وقد ترتب على فشل بريطانيا وفرنسا ضعف وضعهما السياسي في المنطقة العربية ؛ حيث وضح من الصعب على الاستعمار Colonialism الوقوف في وجه الشعوب المناضلة ، والتي تحرص على تحرير إرادتها ، واستقلال حريتها[2].

- وقد أرادت الحكومة الفرنسية التي يرأسها « جي موليه» أنّ تسبق الأحداث ، فأعدت في عام ١٩٥٦ دستورًا جديدًا باسم Loi Cadre يسمح بتشكيل حكومات أفريقية في المستعمرات الفرنسية ، ولكن مع وجود حاكم فرنسي تعيّنه باريس في كل إقليم ، وكان هذا تطورًا مهمًا في المستعمرات الفرنسية نحو الحكم الذاتي Autonomy.. وبدأ تطبيق هذا القانون في أقاليم أفريقية الغربية ، وأفريقية الفرنسية الاستوائية في أوائل عام ١٩٥٧ ، أما في الجزائر فقد

(1) د. فؤاد المرسي خاطر : مرجع سابق ذكره ، ص٢١٩.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر : مرجع سابق ذكره ، ص ٢١٩.

ترتب على هذا القانون نتائج خطيرة ، ففي عام ١٩٥٨ قام المستوطنون الأوروبيون في الجزائر بإضراب عام احتجاجًا واعتراضًا على هذا القانون ، الذي اعتبروه هزيمة سياسيّة لهم و «ديان بيان فو» جديدة لفرنسا، لأن هذا القانون كان يقسم فرنسا إلى «مناطق» ، وبشكل يوحي أن هناك فكرة لتقسيم الجزائر[١].

- وبعد أزمة قناة السويس صار عام ١٩٥٧ عام الجزائر في الأمم المتحدة UN ؛ حيث بحثت القضية مرتين وكانت عدة دول أفريقية وأسيوية من بينها مصر ، قد طالبت بإدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة الحادية عشرة للأمم المتحدة.

- وحين عقد مؤتمر التضامن الأفرو آسيوي بالقاهرة في ديسمبر ١٩٥٧ ، أعلن المؤتمر تأييد مصر في مساعيها نحو استقلال الجزائر ، وأصدروا قرارات خاصة بالجزائر مستنكرًا - أي المؤتمر - الحرب الاستعمارية «الضروس» ، والتي شنتها فرنسا في الجزائر ، كما طالب شعوب العالم الحر بتنظيم حملات صحفية «وسياسية» ؛ لتنبيه الرأي العام ضد حرب الإبادة في الجزائر ، وبأن تتولى - هذه الشعوب - الدفاع عن استقلاله لدى المنظمات الدوليّة ، واستخدام كافة الوسائل لحمل فرنسا على وضع حد للحرب War في الجزائر[٢].

---

(1) محمد فايق: عبد الناصر والثورة الأفريقية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٢ ، ص٤٣.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر : الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو» تحرير (د. رءوف عباس حامد) ، يوليو ١٩٩٢ ، ص٢١٩.

- وتقدم شارل ديجول (١٨٩٠ - ١٩٧٠) بمشروع دستور جديد، يقوم بموجبه اتحاد فيدرالي بين فرنسا، وبين مستعمراتها (أفريقية الغربية وأفريقية الفرنسية الاستوائية، التي سوف تعطي حق إدارة شئونها الداخلية)، ويقضي المشروع بأن يطرح هذا الدستور للاستفتاء الشعبي في المستعمرات، فإذا كانت النتيجة بالإيجاب، يدخل الإقليم في عضوية ما سمى بالمجتمع الفرنسي، ويصبح عضوًا في اتحاد فيدرالي مع فرنسا، أما إذا كان التصويت «بلا»، فيعتبر الإقليم - بصفة أوتوماتيكية - في حكم المنفصل عن «المجتمع الفرنسي»، ويمكنه الاستقلال فورًا، ولكن «عليه» أن يتحمل تبعة ومسؤولية ذلك.. وقد جاء هذا النص على لسان ديجول، وهو يدعو لمشروعه للمجتمع الفرانكو أفريقي [1].

- لم تنجح خطة ديجول (١٨٩٠ - ١٩٧٠) في إنشاء «الاتحاد الفيدرالي بين فرنسا ومستعمراتها»، فلم يجتمع المجلس التنفيذي للاتحاد سوى سبع مرات في المدة من فبراير ١٩٥٩ إلى مارس ١٩٦٠، كما لم يجتمع الاتحاد إلا مرتين.

وقد ذهب بعض الأفارقة إلى حد وصف شارل ديجول (١٨٩٠ - ١٩٧٠) بأنه محرر أفريقيا، ولكن الحقيقة - وكما يقول محمد فايق - أن السبب في تحول سياسة «ديجول» الأفريقية هو تطور الحرب في الجزائر، واقتناعه بأن فرنسا غير

(1) محمد فايق: عبد الناصر والثورة الأفريقية - الهيئة العامة لقصور الثقافة - الطبعة الخامسة ٢٠٠ ص٤٥.

قادرة على إنهاء هذه الحرب عسكريًا ، وأنه لا سبيل لإنقاذ فرنسا من هذا النزيف إلا باستقلال الجزائر[1].

- وقد رحبت القاهرة بإعلان ديجول ، والخاص بالموافقة على إعطاء الشعب الجزائري حق تقرير المصير National self – Determination بعد الانهيار الاقتصادي لفرنسا من جراء الحرب.. وبدأت مفاوضات «إيفيان» السرية ، التي أصبحت بمثابة اعتراف رسمي من جانب دولة فرنسا بالثورة الجزائرية «الباسلة» .. وانتهت تلك المفاوضات على حق تقرير المصير ، وحصل الشعب الجزائري على استقلاله بعد استفتاء أجري في يونيو ١٩٦٢م ، الذي أعلن استقلال الجزائر في أول يوليو ١٩٦٢[2].

- وهكذا لعبت ثورة الجزائر دورًا خطيرًا في تصفية الإمبراطورية الفرنسية المترامية الأطراف، والقضاء على فكرة امتداد الأراضي الفرنسية في أفريقيا ، وقد أدى ذلك إلى فتح أبواب الاتصال بين مصر وبين حركات التحرير Liberation movements ، والتنظيمات الثورية في أفريقيا الفرنسية، التي لجأ كثير من زعمائها إلى القاهرة للحصول على تأييد جمال عبد الناصر (١٣٣٦ - ١٣٩٠ هـ - ١٩١٨ - ١٩٧٠م) ، بعد أن عرف دور مصر في مساعدة الثورة الجزائرية ، ومن أمثال هؤلاء : «فليكس موميه» زعيم حزب اتحاد شعب

---

(1) محمد فايق : مرجع سابق ذكره ، ص ٤٤.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر : الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو» مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، مؤسسة الأهرام ، يوليو ١٩٥٢، ص٢٢٠.

الكاميرون U.P.C ، والزعيم الصومالي «محمود حربي» ، وجيبو بكاري زعيم سوابا SWABA في النيجر ، وغيرهم كثيرون... إلخ [1].

– وقد استطاعت الثورة الجزائرية – كما يذكر محمد فايق – ومنذ البداية أن تقدم نفسها كثورة أفريقية ، بجانب كونها ثورة إسلامية عربية ، وكانت صلتها وثيقة دائمًا بالتنظيمات الوطنية في أفريقيا الفرنسية ، الأمر الذي ساهم «إيجابيًا في القضاء على ما تبقى من فكرة الفصل بين أفريقيا العربية وأفريقيا السوداء» [2].

(1) محمد فايق : عبد الناصر والثورة الأفريقية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٢، ص٤٥.

(2) محمد فايق : مرجع سابق ذكره ، ص٤٥.

٣

عبد الناصر ... وثورة اليمن

كانت اليمن تعيش في عهد الأئمة في ليل مُدلهم ، فالاستبداد Despotion هو القاعدة، والتخلف Under-development علامة بكل مناحي الحياة وشؤونها ، وكان الإمام الحاكم «الزمني» لليمن، والزعيم الروحي للزيود الشيعة[1] ، والذين يؤلفون أقل من نصف سكان البلاد البالغ عددهم خمسة ملايين ونصف مليون (في عهد الإمامة قبل قيام الجمهورية اليمنية) ، أما الباقون فإنهم ينتمون لمذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ – ٢٠٤ هـ – ٧٦٧ – ٨٦٠م) ، أي: ينتمون إلى السنة.. وكان الزيود والشوافع يعيشون في

(1) تنتسب الأمامة والزيود في اليمن إلى الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب(٧٩ – ١٢٢ هـ – ٦٩٨ – ٧٤٠م) .. والشيعة الزيدية هم أكثر الشيعة تسامحًا واعتدالًا من غيرهم، بل إنهم يقولون بصحة خلافة أبي بكر الصديق (٥١ ق. هـ – ١٣ هـ – ٥٧٣ – ٦٣٤م) ، وعُمر بن الخطاب (٤٠ق.هـ – ٢٣ هـ – ٥٨٤ – ٦٤٤م) ، وإن كان علي بن أبي طالب (٢٣ ق . هـ – ٤٠هـ – ٦٠٠– ٦٦٠م) أفضل منهما ، ولهم في ذلك رأي يقولون به وهو : الاعتراف بالإمام المفضول مع وجود الأفضل.. والإمام زيد كان أول علوي يخرج على بني أمية بحد السيف ، ولكنه استشهد بسبب ذلك.. وقد تمكن الزيدية بالمثابرة والجد من تكوين دولة في أرض الديلم في جنوب الجزر سنة ٢٥٠هـ أسسها أحد الزيديين واسمه الحسن بن زيد ، ثم أقاموا دولة ثانية في اليمن بعد ذلك بفترة من الزمن ، أقامها: الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين من ولد القاسم الرسي حفيد إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، واستمرت هذه الدولة حتى ثورة اليمن ، وحلت محل الزيدية حكومة جمهوريّة .. ولمزيد من التفاصيل انظر: د. مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب ، ص٢٠٥ وما بعدها ، د. محمد عمارة: تيّارات الفكر الإسلامي ، دار الشروق ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٧م ، ص٩٧ وما بعدها.

أنحاء مختلفة من اليمن.. فالزيود (نسبة إلى الإمام زيد بن علي زين العابدين) يعيشون في منطقة الجبال الوسطى والشماليّة ، بينما الشوافع يعيشون في القطاع الجنوبي من الهضبة الوسطى ، وفي الهضبة الشرقية والسهل في ساحل البحر الأحمر[1].

ولم تكن في اليمن إدارة بمعنى يقترب من المعنى المتعارف عليه ، فالنظام الذي أقامه الأئمة الزيود لدى إنشاء دولتهم في القرن التاسع بقى ألف سنة دون تغيير ، وسيطر الإمام على البلاد – كما تذكر نجلاء أبو عز الدين – عن طريق أخذ رهائن من أبناء زعماء القبائل والأعيان ، والاحتفاظ بهم في العاصمة صنعاء ، لضمان ولاء قبائلهم[2].

– ومن الناحية التاريخية كانت العلاقة قائمة بين الإمامة الزيدية في اليمن ومع ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وموجودة قبل قيام الثورة اليمنية.. فالعلاقة بين مصر واليمن لم تبدأ فجأة في يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، فمنذ قيام ثورة يوليو ، حاول الإمام أحمد أن يجد فيها سندًا له ضد الوجود البريطاني في الجنوب المحتل ، فطلب بعثة عسكرية مصريّة ، وأقامت تلك علاقات طيبة وقتها مع اليمنيين، وكسبت – بطبيعة الحال – ثقة الإمام أحمد نسبيًا.

– وفي مصر دخلت الكلية الحربيّة أول بعثة يمنية عام ١٩٥٢ من الطلبة الذين حضروا للتعليم في مصر منذ عام ١٩٤٨ ، وتخرجت أول دفعة في الكلية

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي، ١٩٨٨م، ص٢٣١.

(2) نجلاء أبو عز الدين : ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، المستقبل العربي ، ص٢٣١.

عام ١٩٥٥.. وفي نفس الوقت كان قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ في القاهرة إيذانًا باتساع نشاط أحرار اليمن، حيث نقلوا نشاطهم إلى «القاهرة»، وأسسوا «الاتحاد اليمني»، وكان لهم نشاط واسع النطاق داخل اليمن وخارجه، وقام الاتحاد بنشاط كبير في نشر الوعي القومي في اليمن، والدعاية للقضية الوطنية[١].

- خلال هذه الفترة كانت الاتجاهات السياسيّة تتصارع، والمصالح الإمبريالية تتصادم وتتناقض، وبرز دور الولايات المتحدة الأمريكية، التي انتهزت ما يفرضه الإمام أحمد على اليمن من حياة رجعية وعزلة عن العالم، فشجعت انقلابًا ضده من عناصر داخل الأسرة الحاكمة، أي: انقلاب «القصر الملكي».. حيث قام الأمير سيف الإسْلام عبد الله بمحاولة انقلاب ضد شقيقه أحمد بالاشتراك مع المقدم أحمد الثلايا، لكن الإمام أحمد نجح في إفشال الانقلاب، وقضى على القائمين به، وكان «الثلايا» منظمًا لتنظيم الأحرار اليمنيين[٢].

- وسافر حسين الشافعي (١٩١٨- ٢٠٠٥) عضو مجلس قيادة الثورة، لتهنئة الإمام أحمد بنجاته من عواقب الانقلاب «الفاشل»، وحرصًا على إبقاء

(1) فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب (أربعون عامًا على ثورة يوليو، دراسة تاريخية) (تحرير رءوف عباس حامد)، يوليو ١٩٩٢، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، مؤسسة الأهرام، ص٢٢٤.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو، ١٩٥٢ في كتاب أربعون عامًا على ثورة يوليو، مؤسسة الأهرام، يوليو، ١٩٥٢، ص٢٢٤.

العلاقة بين البلدين ودية ، نظرًا لما أثير من أن الضباط اليمنيين ، والذين اشتركوا في «الانقلاب» كانوا على صلة بمصر.

- وفي عام ١٩٥٧ ذهبت بعثة عسكرية مصرية للتدريب إلى اليمن في وقت أصبحت فيه مصر موضع انبهار الدول العربية بعد تغلبها على العدوان الثلاثي «إسرائيل / فرنسا / إنجلترا» ، والذي وقعت أحداثه الكبيرة عام ١٩٥٦ .. حيث أصبح عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) - بعده - زعيمًا عربيًا بلا منازع ، وموضع إعجاب من ملايين العرب ، وحتى في اليمن ، حيث كان الشعب مازال بعيدًا عن التمدن والحضارة Civilization.

- وعندما تحققت الوحدة بين مصر وسوريا في فبراير ١٩٥٨ بادر الإمام أحمد بطلب الانضمام إليها.. ومن ثمّ .. أعلن الاتحاد بين الجمهورية العربية المتحدة واليمن في نفس العام تحت اسم «اتحاد الدول العربية» .. فأوقف اليمنيون معارضهم آملين أن الارتباط بالجمهورية العربية المتحدة «بشقيها» قد يقنع الإمام أحمد بإصلاح نظامه ، ويسير قُدمًا في تطوير البلد وتحديثه ، غير أن هذه الآمال قد تبددت - فعلًا - إذ لم ينجم أي تغيير في عقلية الإمام ونهج نظامه[1].

- وليس من شك أن اقتراب مصر من اليمن قد حمل إلى اليمن «بعض» مظاهر الحضارة العصرية، وعلى سبيل المثال: فإن الضباط اليمنيين ، والذين درسوا في الكلية الحربية - في مصر - وتدربوا على الأسلحة السوفيتية كان لهم

(1) نجلاء أبو عز الدين : ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي، القاهرة، عام ١٩٨٨ ، ص٢٣٣ ، الطبعة الأولى.

دور في اتفاق الإمام مع السوفييت عام ١٩٥٧ على توريد السلاح إلى اليمن ، وإيفاد بقية عسكريّة سوفيتية للتدريب عليه، وكان عدد من الضباط اليمنيين ، الذين يدرسون في مصر قد انتدبوا واحدًا منهم ، وهو : «عبد الله جزيلان» ، ليعود للبلاد ثم يطلعهم على ظروفها ، وما آلت إليه الأمور فيها ، وكان لجزيلان دور في الثورة فيما بعد .

– وفي عام ١٩٥٧ – أيضًا – كان قد أعيد فتح المدرسة الحربية في اليمن ، وتولى قيادتها وقتئذ العميد «حمود الجائفي» ، الذي كان له دور في الثورة اليمنية أيضًا .. وقبل الثورة Revolution بعام اشتدت النقمة والغضب على الإمام أحمد ، وجرت أكثر من محاولة لاغتياله، والتخلص منه، ولكنها فشلت[١] .

– لم يبدأ اهتمام جمال عبد الناصر (١٣٦٦ – ١٣٩٠ هـ – ١٩١٨ – ١٩٧٠م) باليمن ، الذي اتخذ فيه قراره التاريخي الخطير والفريد بإرسال قواته إلى جبال اليمن الوعرة ووهادها السحيقة انتصارًا للثورة اليمنية ، ودفاعًا عن حق الشعب اليمني في جنوب الجزيرة العربيّة.. فلقد كانت اليمن ، التي تتحكم بموقعها الجغرافي الهام في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، كما تتحكم مصر في شماله ، تقع منذ البداية في موقع بارز من اهتمامه السياسي ووعيه القومي[٢] .

– فبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو الرائدة ، وحين لم تتح ظروف المملكة المتوكلية

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، في كتاب (أربعون عامًا على ثورة يوليو، دراسة تاريخية) (تحرير د. رءوف عباس) ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، مؤسسة الأهرام، القاهرة ، يوليو ١٩٥٢ ، ص٢٢٤.

(2) د. مُحمد علي الشهاوي: عبد النّاصر وثورة اليمن ، مكتبة مدبولي ، ١٩٧٦، ص١٢.

اليمنية الخاصة عدا قيام حركة معارضة تقليدية متواضعة الأهداف محددة الأفق السياسي – كما يذكر محمد علي الشهاوي – ورغم ذلك مضطهدة من قبل الإمام، ومحاربة بل وغير مسموح لزعمائها المشردين بأن تطأ أقدامهم أي أرض عربية على الإطلاق ، استجابة لرغبة حاكم اليمن المطلق أحمد بن يحيى حميد الدين[1].

– كانت مصر (عبد الناصر) هي البلد العربيّ الوحيد الذي اخترق هذا الحصار ، وتحدى الإرادة الإماميّة ، وأتاح لكل يمني مهما كانت درجة فهمه للعمل السياسي والقومي الصحيح أن يمارس من «القاهرة » مسؤوليته الوطنية في الكفاح ضد الحكم الفردي المتسلط على أقدار «صنعاء» – كما أتاح عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) لكل مناضل عربي للقيام بدوره الوطني والقومي لتحرير أرضه من الاستعمار الفردي[2].. واستثمارًا لهذه الإمكانية النضاليّة قدم

(1) مُحمَّد علي الشهاوي : عبد الناصر وثورة اليمن ، مكتبة مدبولي ، عام ١٩٧٦ ، ص١٢.

(2) محمد علي الشهاوي : عبد الناصر وثورة اليمن ، مكتبة مدبولي ١٩٧٦ ، ص١٣.

من باكستان إلى أرض «الكنانة» زعيم حركة المعارضة اليمنية المطارد مُحمد محمود الزبيري ، الذي وجد الفرصة متاحة لتأسيس هيئة سياسية مناوئة ورافضة لحكم الإمام ، هي: جمعية الاتحاد اليمني ، والذي مكنته إذاعة صوت العرب من توجيه أحاديث سياسية من خلال بثها[1].

- وعندما قادت بعض عناصر المعارضة اليمنية حركة انقلابية في شهر مارس ١٩٥٥ بقيادة العقيد «أحمد الثلايا» أحد خريجي أكاديمية بغداد العسكرية عام ١٩٣٩ ، ووضعت على رأسها إمامًا جديدًا - كما يذكر الشهاوي - هو عبد الله بن يحيى حميد الدين ، أخذ الإمام أحمد نفسه، والذي كان معروفًا لدى الأوساط العربية بارتباطاته القوية بدوائر الاستعمار الأمريكي كما كان معروفًا أيضًا بعدائه الشديد للخط التحرري ، الذي تمثله القاهرة (عبد الناصر).. فإن مصر سرعان ما تصدت لهذه الحركة الانقلابية ، وأتاحت للزبيرى مهاجمتها من بث إذاعة «صوت العرب» ، وأرسلت حسين الشافعي (١٩١٨ - ٢٠٠٥) إلى «تعز» للتأكيد بأنها بعيدة تمامًا عن هذه الحركة نفيًا لأي شبهة أو التباس .. وعندما لم يف الإمام بوعوده التي قطعها على نفسه ، وأمام ممثلي مصر بأنه - سيعمل - وبعد أن رفضت الجماهير التجاوب مع هذه الحركة - على تلبية مطالب الشعب اليمني «المشروعة» في إدخال الإصلاح الاقتصادي والسياسي والإداري على حياة البلاد.. فإن القاهرة لم تلبث أن واجهته بموقف صريح وآوت زعيمًا آخر من زعماء الحركة المعارضة ، وهو: أحمد محمد نعمان[2]..

(1) محمد علي الشهاوي : عبد الناصر وثورة اليمن ، ص١٣.

(2) محمد علي الشهاوي : مرجع سابق ذكره ، ص١٤.

وأتاحت ووضعت إذاعة «صوت العرب» تحت تصرفه، وتصرف زميله الزبيري للتنديد بحكم ملك اليمن الظالم الجائر!! كما أتاحت لهما ابتداء من أغسطس إصدار نشرة معارضة من القاهرة هي جريدة «صوت اليمن»[١].

- ونظرًا لمقاومة جمال عبد الناصر لحلف بغداد الاستعماري، فقد استطاع كلا من الإمام أحمد، والملك سعود بن عبد العزيز إلى عقد ميثاق جدة الثلاثي، الذي أبرم في ٢١ من شهر أبريل/ نيسان عام ١٩٥٦، والذي قصد به أن يكون حلفًا مضادًا لحلف بغداد الاستعماري «الرجعي»، وموجهًا بصورة خاصة ضد الاستعمار البريطاني[٢].

- ويقول مُحَمَّد علي الشهاوي في هذا الصدد أنه: «ونظرًا لضعف الحركة السياسية المناهضة لحكم ابن حميد الدين، وفقدانها أي برنامج ثوري، وعلى أمل المعاونة في إخراج اليمن من الكهف المظلم، الذي أرغمت على البقاء فيه، ورجاء اقتحام أسواره الصفيقة المنيعة، فإن رائد الوحدة العربية لم يتراجع عن قبول طلب الإمام أحمد بانضمام بلاده إلى الوحدة المصرية السورية، وإقامة «اتحاد الدول العربية»، الذي أعلن قيامه في ٨ مارس ١٩٥٨، وضم الجمهورية العربية المتحدة، والمملكة المتوكلية اليمنية إليه[٣].

---

(1) محمد علي الشهاوي: عبد الناصر وثورة اليمن، مكتبة مدبولي ١٩٧٦، ص١٤.

(2) محمد علي الشهاوي: مرجع سابق ذكره، ص١٥.

(3) محمد علي الشهاوي: مرجع سابق ذكره، ص١٥.

أ- عبد الناصر .. واندلاع الثورة:

توفى الإمام أحمد حميد الدين في سبتمبر ١٩٦٢ ، وتولى ولده مُحَمَّد البدر الإمامة من بعده، ولم تمض إلاّ أيام قليلة على توليه الحكم الإمامي، حتى قامت ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، والتي أطاحت به وبملك أسرته حميد الدين، وفر هاربًا إلى الجبال الشواهق ومفاوز الصحراء .. وبعد أسابيع من هروبه، ظهر مرة أخرى ليحشد قواته لمقاومة قوات الثورة Revolution في صنعاء – وهنا – وكما يذكر أمين هويدي في كتابه «مع عبد الناصر» حقيقتان لابد من التركيز عليهما:-

١- كان حكم أسرة حميد الدين استبداديًا لا يعترف بالتعليم أو الانفتاح على العالم.

٢- أن السعودية هي التي بدأت بالتدخل في ثورة اليمن عقب اندلاعها وقيامها بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا[1].

- وقامت السعودية بإنشاء محطة إذاعة ، ودفعت الأمير الحسن عم البدر إلى الجبال ودروبها ، للمقاومة حتى ظهر البدر من جديد في مكان اختفائه ، واتخذت من منطقتي جيزان ونجران قاعدة كبرى لعمليات القوات الملكية بقيادة البدر ، وتحت إشراف الأجانب ، ثم أخذت تستأجر الجنود العسكريين المرتزقة بأجور خيالية ؛ لتدفع بهم إلى داخل الحدود اليمنية ، وأخذت الولايات المتحدة الأمريكية تمد المملكة السعودية بالسلاح ؛ لتغذي حرب العرب ضد العرب ، وتخلق صراعًا دمويًا بينهم ، بينما قامت بريطانيا بمساعدة عمليات

(1) أمين هويدي: مع عبد الناصر ، دار المستقبل ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٩١ ، ص٢٤٧.

شريف بيجان من الجنوب ، وتعمل على تفتيت اليمن الشمالي بفصل جنوبه من الشوافع «السنة» عن شماله من الزيود «الشيعة» ، حيث تم التركيز على مستعمراتها في عدن[1].

– أمام هذه التدخلات «العربية والأجنبية» قامت الجمهورية الوليدة في اليمن بطلب مساعدة مصر ، حتى يمكنها مواجهة الضغوط الكثيفة والشديدة التي تواجهها ، ووافقت «القاهرة» على مساعدة صنعاء في عملية كبرى اسمها الكودي «العملية ٩٠٠٠» ، وإلى جانب تدعيم اليمن عسكريًا أخذت مصر تدخل الحضارة Civilization إلى اليمن ، فأنشأت جهازًا للدولة لأول مرة في تاريخ اليمن ، وأسست المدارس والمستشفيات والطرق ، وتحسين الموانئ البحرية ، وإنشاء المطارات، وفتحت الطريق أمام المساعدات العربية لبناء اليمن على أسس حضارية، ثم قام الاتحاد السوفيتي والصين ودول المعسكر الاشتراكي بإنشاء الموانئ ، وتقديم المساعدات المختلفة لليمن الجديد[2].

– وكانت إرهاصات الثورة Revolution وأجواء ومقاومة النظام الإمامي المتخلف ، قد بدأت في أجواء توتر الموقف بين مصر واليمن ، حيث تحول اتحاد الدول العربية إلى اتحاد شكلي "كرتوني" لا قوة ولا رباط قوي بين أركانه ، وعندما أعلنت القوانين الاشتراكية في عام ١٩٦١ زادت حساسية الإمام أحمد من مصر ، وهاجم مصر والاشتراكية Socialism في قصيدة شعريّة ، فسحبت مصر بعثتها العسكرية في سبتمبر ١٩٦١ بعد أن أمضت باليمن ثماني سنوات ، وعاد الضباط اليمنيون وطلبة الكلية الحربية إلى بلادهم ، وفي نفس الوقت

(1) أمين هويدي: مرجع سابق ذكره ، ص٢٤٨.

(2) أمين هويدي : مع عبد الناصر ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، عام ١٩٩١، ص٢٤٨.

حدث تقارب سعودي يمني.. فقد أدى التوتر في العلاقات بين مصر واليمن الإمامي إلى اشتعال رغبة اليمنيين الأحرار في مقاومة النظام الإمامي «المتخلف».

- وبدأت تتشكل محاولة الانقضاض عليه للمحاولات السابقة، والتي بدأت إرهاصاتها في الأربعينيات من القرن العشرين.

- وكان عبد الرحمن البيضاني قد عقد صلة مع أنور السادات (١٩١٨ - ١٩٨١) رئيس مجلس الأمة المصري آنذاك، والذي بدوره كتب مذكرة لعبد العناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) بالتوقعات المحتملة في اليمن، فكلفه عبد الناصر بأن يكون مسؤولًا سياسيًا عن الشؤون اليمنية، واستطاعت القاهرة أن تسوي ما بين البيضاني وأحمد النعمان رئيس تنظيم الأحرار اليمنية من خلافات وتناقضات، واجتمع زعماء يمنيون في «القاهرة»، ووقعوا - جميعًا - وثيقة بضرورة التخلص من النظام الإمامي «المتخلف»، وإقامة نظام جمهوري، أذيعت من إذاعة صوت العرب «المصرية».. كما كان البيضاني يذيع من صوت العرب أحاديث وتعليقات سياسية موجهة للشعب اليمني تكشف مفاسد النظام، وتبين انحرافاته ومثالبه، وتحرض الشعب اليمني على الثورة Revolution [1].

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو» تحرير (د. رءوف عباس حامد)، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، مؤسسة الأهرام، يوليو ١٩٩٢، ص٢٢٥.

– وكان هناك ارتباط بين العسكريين واليمنيين المدنيين ، وتظاهر الطلبة في يوليو وسبتمبر ١٩٦٢ ، وكان هناك صلة وثيقة بدأت من العسكريين في مصر والقادة اليمنيين ، وتدفقت الأسلحة على اليمن .. وأعلنت الجمهورية العربية المتحدة في يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢ اعترافها الرسمي بحكومة الثورة في جمهورية اليمن .. وأعلن الاعتراف في برقية بعث بها عبد الناصر إلى عبد الله السلال رئيس مجلس الوزراء اليمني والقائد العام للقوات المسلحة اليمنية ، وقد أبلغه فيها أن الجمهورية العربية المتحدة تقف إلى جانب شعب اليمن ، لتسند إرادته ، وتناصر حقه في الحياة[١] .

– وأرسل قادة الثورة وفدًا يمنيًا إلى مصر بطلب المساعدة العاجلة في الأيام الأولى للثورة Revolution ، ووصل أنور السادات (١٩١٨ – ١٩٨١) إلى اليمن في الأسبوع الثاني من أكتوبر ، حيث وقع في ١١ أكتوبر ١٩٦٢ اتفاق دفاع مشترك بين مصر واليمن – والحق – وكما يذكر فؤاد المرسي خاطر – أنه لم يكن أمام الثورة في اليمن إلا اللجوء لعبد الناصر ، كما لم يكن أمام عبد الناصر المؤمن بالقومية العربية وبضرورة تحرير كافة أجزاء الوطن العربي من الاستعمار Colonialism والرجعية والتخلف Under – development إلا أن يستجيب ويقوم على دعم الثورة اليمنية بكل قوة[٢] .

---

(١) د. فؤاد المرسي خاطر : الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو» ، دراسة تاريخية (تحرير د. رءوف عباس حامد) ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، يوليو ، ١٩٩٢ ، ص٢٢٦.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: مرجع سابق ذكره ، ص٢٢٧.

- وكان واضحًا لرواد القومية العربية الجدد في مصر أن تحرر أي بلد عربي يشكل وثبة حاسمة في اتجاه التحرر القومي الشامل بما في ذلك تحرر فلسطين، وأن ثورة اليمن التي اندلعت في الركن الجنوبي الإستراتيجي الهام من الجزيرة العربية، هي منطلق جديد وأكيد لحركة الوطن كلها، بل إن تحرير اليمن خطوة في طريق التخلص من الصهيونية Zionism[1].

- ويذكر محمد علي الشهاوي في كتابه «عبد الناصر وثورة اليمن» «أن الجيش المصري الذي جاء إلى اليمن في الربع الثاني من القرن التاسع عشر تحت علم محمد علي (١٧٦٩ - ١٨٤٩)، والذي حمل وجوده فيها تحت الاستعمار البريطاني على التعجيل باحتلال عدن ١٨٣٩ وتعبئة الدول الأوروبية كلها ضده من أجل إخراجه منها ومن غيرها من الأقطار العربية في العام التالي بالذات كان عليه أن يعود هذه المرة إلى اليمن تحت علم قائد الثورة العربية «المظفر» جمال عبد الناصر، لا لتصفية حساب قديم مجمد مع قوى الغزو الاستعمارية البريطانية فحسب، وإنما - بالدرجة الأولى - تأكيدًا لوحدة الحق والوجود والمآل العربي، وتلبية لنداء الواجب القومي، وانطلاقًا مع ثورة التحرير القومية التقدمية في كل اتجاه، وتحركًا بقواها الرئيسية والصدامية إلى كل ركن من الأزاضي العربية تهب فيها رياح التغيير[2].

- إذن لم يكن أمام عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) من بد من الوقوف بجانب ثوار اليمن ضد الحكم الإمامي «المتخلف»، والذي استمر في حكمه إلى

(1) محمد علي الشهاوي : عبد الناصر وثورة اليمن، مكتبة مدبولي، ص٤٧.

(2) د. محمد على الشهاوي : عبد الناصر وثورة اليمن، مكتبة مدبولي، القاهرة، عام ١٩٧٦، ص٢٩.

ما يقرب من ١١٠٠ عام قتل ١٨ إمامًا منذ القرن الرابع الهجري نتيجة لظلمهم واستبدادهم وإشاعة الأساطير حول شخصيتهم[١].

- فلم يكن هناك أمام جمال عبد الناصر من سبيل أيضًا إلا دعم هذه الحركة الثورية التي جاءت في وقت كانت فيه القوى الإمبريالية والظروف الموضوعية قد نجحت في شق الحركة الثورية العربية بعد الخلاف مع العراق وانفصال سوريا[٢].

- كانت فرصة سانحة أمام عبد الناصر لوقف المد الرجعي في المنطقة، ومنع السعودية من السيطرة على الخليج العربي، وتحطيم نظام رجعي يتهالك اعتمد الأسطورة والحكم الاستبدادي المتسلط.. ولم يكن هناك من قيادة الثورة المصرية من اعتراض على مساندة ثورة اليمن وأحرارها.. فقد اتفق جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة على ذلك بما فيهم كمال الدين حسين، فلم تكن هناك مناقشة - مطلقًا - حول إرسال القوات - كما يذكر أحمد حمروش - وإنما كان هناك حديث فقط عن بعض محاذير التورط في الحرب[٣].

- وقد كان هناك اتجاهان رئيسيان في تفكير القيادة المصرية - وقتئذ - الأول: يدعو إلى الاعتماد المطلق على القوات المسلحة المصرية اقتناعًا منهم بأن هذا هو السبيل الأفضل والأسرع لنقل اليمن إلى عالم الحضارة Civilization،

---

(1) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه، الجزء الأول «مصر والعسكريون - مجتمع جمال عبد الناصر - عبد الناصر والعرب». الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ص٨٤٥.

(2) أحمد حمروش : مرجع سابق ذكره، ص٨٥٨.

(3) أحمد حمروش : مرجع سابق ذكره، ص٨٥٨.

والثاني: كان يؤمن بأن المساعدة المصرية لليمنيين يحسن أن تقتصر على الطائرات والمدفعية الثقيلة دون المشاة حتى لا يتورط الجنود المصريون ، هناك في معارك وأحداثٍ مفروض أن يقوم بها ويخوض غمارها اليمنيون .. وخاصة أن الميزانية المصرية تتكلف كثيرًا وتتحمل أعباء نفقات الجنود وتعويضات القتلى من المصريين ، وكان هذا هو الاتجاه الذي اتفق عليه رغم الخلاف الجذري في أمورٍ كثيرة[1].

ب- حصاد الثورة ونتائجها :

لا شك أن حصاد ثورة اليمن وعون المصريين والقيادة المصرية لها قد تعرض لعديد من الانتقادات والتشويهات خاصة من خصوم عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) والذين أخذتهم الخصومة مأخذًا شططًا في مضمار إلقاء التهم وإلصاق المعايب والنقد المبرح ، والذي مازال ساريًا مفعوله حتى الآن ، ومن ثم.. نستعرض العديد من الآراء حول حصاد ثورة اليمن ونتائجها ولنعرف – أيضًا هل هناك حاجة لتدخل مصر وقيادتها الناصرية لمساندة الثورة اليمنية ضد النظام الإمامي ، أم كان من الأجدى الابتعاد عن ثوار اليمن ، والعزلة عن الأحداث؟؟

وهدفنا من طرح هذه الآراء أن نستبين منها الحقيقة ، ونكتشف غث النقد من سمينه تجلية للأمور ، وإظهارًا للحقيقة .. وتبيانًا لحوادث التاريخ ، وإنصافًا للأدوار المهمة ، والتي قامت بها قيادة مصر ممثلة في عبد الناصر.

(١) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ ، ص٨٥٩.

رأي أمين هويدي:

أمين هويدي

يرى أمين هويدي أحد الضباط الأحرار ورئيس المخابرات في كتابه «مع عبد الناصر»: أن نتائج أحداث اليمن كانت خطيرة بحق للأسباب التالية:-

١- فقد قامت الجمهورية اليمنية، وهبت رياح التغيير، لتخرج شعب اليمن من الظلمات إلى النور، وانطلقت حركة التغيير والتعمير أيضًا في الجزيرة العربية بما فيها السعودية نفسها، خوفًا من رياح الثورة العاصفة.

٢- خرجت دولة اليمن الجنوبية إلى الوجود كدولة مستقلة.

٣- السيطرة العربية على باب المندب، وأصبح البحر الأحمر بحرًا عربيًا بحق[١].

رأي أحمد حمروش:

احمد حمروش

رأى أحمد حمرش أحد الضباط الأحرار ومؤلف سفر كبير عن «ثورة ٢٣ يوليه» بأجزائه الثلاثة في نتائج ثورة اليمن، ومساعدة القيادة المصرية لها فيما يلي:-

«.. فلابد من كلمة إنصاف لدور ثورة يوليو في مساندة ثورة سبتمبر وقرار

(١) أمين هويدي: مع عبد الناصر، دار المستقبل العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩١، ص٢٤٨، ٢٤٩.

جمال عبد الناصر بالاعتراف الفوري والموافقة غير المترددة في مساعدة الثورة اليمنية بالقوات المسلحة كان نقطة البداية.. وكان في ذلك الرد على محاولات الإمبريالية «Imperlism» في تعويق الثورة العربية، ونجاحها في تحطيم الجمهورية العربية المتحدة لم يؤد إلى انحسار دائم، وإنما ظهر البعث الجديد في أكثر الدول العربية تخلفًا ضد أشد النظم انحطاطًا.. كان رفض المعاونة أمرًا غير مقبول، ولا وارد سياسيًا، فليس من منطق الثورة التقاعس عن مساندة حركات التحرر الوطني.. وإلا كانت نتيجة ذلك العزلة التامة عن ساحة الثورة العربية، وتسهيل فرصة الإطالة بنظام الحكم التقدمي في مصر، وعلى الذين يفصلون بين سلامة مبدأ المساعدة وأخطاء التطبيق أن يقدروا فزع الإمبريالية من ظهور عبد الناصر في الجزيرة العربية، ليطوق النظام السعودي، ويقترب من آبار البترول في الخليج، ويسيطر على مفتاح البحر الأحمر من الجنوب .. وما بذلته بعد ذلك من جهود ومساعدات لدفع نظام الحكم السعودي لمساعدة بقايا النظام الملكي في اليمن خلف أموال «أمير المؤمنين» البدر.

وعلى الذين يفصلون بين سلامة مبدأ المساعدة وأخطاء التطبيق أن يقدروا أيضًا غموض الموقف في اليمن، وطبيعة الحياة المتخلفة، واختلاف طبيعة الأرض، إلى جانب طبيعة الحكم في مصر، حيث انفردت زعامة جمال عبد الناصر (١٣٣٦هـ - ١٣٩٠هـ - ١٩١٨ - ١٩٧٠) بالتأييد الجماهيري المطلق.

- وما تحقق في اليمن لا يمكن قياسه بخسائر عشرة آلاف بطل فوق أرض اليمن، ولا في سقوط عشرات الألوف من اليمنيين في الحرب الأهلية، التي فرضها الملكيون فرضًا .. ولا يمكن قياسه أيضًا بما صرف من ملايين الجنيهات

على العمليات العسكرية[1].

كل هذه الأشياء صغيرة إذا قيست أو قورنت بالإنجاز الأعظم، وهو إنقاذ شعب اليمن من أبشع نظام متخلف، وإخراج جنوب الجزيرة العربية من حصار طويل إلى نور الحضارة العصرية.

إن مجرد دخول الكهرباء والمصانع وتعبيد الطرق وفتح المدارس والمستشفيات في مجاهل هذا البلد يضم ما يقرب من خمسة ملايين (وقت ثورة ١٩٦٢) قد اختصر الزمن، الذي كان يمكن أن يعيش فيه الشعب اليمني عشرات أو مئات السنين في هذا التخلف الشديد.

- والقول بأن مساعدة ثورة اليمن (سبتمبر ١٩٦٢) - كما يذكر حمروش - قد استنزفت مصر وكبدتها خسائر اقتصادية كبيرة.. هو قول مبالغ فيه كثيرًا.. فإن مساعدات الأسلحة كانت من الاتحاد السوفيتي، ووسائل النقل السريع أيضًا قد أعطيت كلها مجانًا.. والأمور لم تصل بمصر إلى حد الأزمة (Crisis)، بل ولم تقترب منها أبدًا.. لنمو خطط التنمية.

إن ملحمة القوات المسلحة المصرية فوق أرض اليمن هي من أعظم أمجاد ثورة يوليو (١٩٥٢) التي حاربت جنودها النظام الملكي الإقطاعي حتى انهار داخل الحدود[2].

---

(1) أحمد حمروش: ثورة ٢٣ يوليو «مصر والعسكريون، مجتمع جمال عبد الناصر، عبد الناصر والعرب»، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٢، ص٨٩٨.

(2) أحمد حمروش: ثورة ٢٣ يوليو، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٢، ص٨٩٩.

رأى الدكتور محمد علي الشهاوي:

وفي رد مطول للشهاوي على ما أثير من انتقادات وتحليلات وتخارج بأن إسرائيل لم يبق أمامها سوى توجيه ضربة لمصر (في ٥ يونيو / حزيران ١٩٦٧) وضربة مبرحة لذلك البناء العسكري والسياسي والاقتصادي الناصري، والذي كان قد تآكل وامتص واستهلك في اليمن.. وقد قدم محمد علي الشهاوي الرد في النقاط التالية:-

١- إن حدث ٢٦ سبتمبر في صنعاء جاء في وقت كانت مصر واقعة فيه تحت الحصار «المباشر» سواء من قبل القوى الاستعمارية والرجعية، أو من الأنظمة الوطنية العربية كالعراق؛ حيث تمثل ذلك بصورة خاصة في نكسة الانفصال (بعد الوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨) ومؤتمر شتورا، وتجميد مصر لنشاطها في الجامعة العربية[١].

٢- إن حدث ٢٦ سبتمبر (١٩٦٢م) بدأ انقلابًا عسكريًّا من أعلى شأن الكثير من الثورات العربية (وقتئذ)، والتي بدأت في شكل انقلابات عسكرية، ولكن الشرارة التي انطلقت - في هذا اليوم - سرعان ما تحولت إلى حريق ثوري عظيم اشتعلت به اليمن كلها، كما لم يحدث مع أي ثورة عربية أخرى[٢].

٣- أن حركة ٢٦ سبتمبر (عام ١٩٦٢) أسقطت حصنًا إقطاعيًا عتيدًا وعريقًا كان يقوم على الحق الإلهي المطلق في الحكم، وعلى مذهبية كهنوتية طائفية عريقة (الإمامية الزيدية) شديدة التخلف والتحجر ممثلة في النظام

(1) دكتور محمد علي الشهاوي: عبد الناصر وثورة اليمن، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٧٦، ص٥٦.

(2) د. محمد علي الشهاوي: مرجع سابق ذكره، ص٥٧.

الإقطاعي – القبلي – الإمامي الذي عجزت كل – التمردات الداخلية – المعززة من دوائر الاستعمار البريطاني في عدن ، والتي قامت بها الأجنحة الإقطاعية – القبلية المعارضة له من إسقاطه.

٤ – إن البديل للحكم الإمامي – الإقطاعي – الكهنوتي كان إقامة جمهورية وطنية تقدمية لأول مرة في تاريخ جزيرة العرب.

٥ – إنه إذا كان التركيب الاقتصادي – الاجتماعي لم يتغير بقيام هذه الثورة Revolution فإن التركيب السياسي تغير بها بالفعل ، وكان ذلك هو المدخل الطبيعي – شأن كل ثورة وطنية – لتغيير البنية الاجتماعية خلال مسيرة الثورة Revolution.

– وهل من شهادة أقوى في هذا المجال مما قاله أحد خصوم الثورة البارزين – أحمد محمد الشامي وزير خارجية النظام الملكي المقبور ، الذي غدا لفترة محددة قبل أن يصبح سفيرًا في لندن عضوًا في المجلس الجمهوري.. حيث يقول: «لقد تركت اليمن قرية مهجورة ، فعدت إليها بعد أن أصبحت دولة كاملة ، ولا شك أن الدور الذي قامت به الجمهورية العربية المتحدة في هذا المجال لن يمحا ولن ينسى بل سيظل على الدوام علامة مشرقة لما قدمته الشقيقة الكبرى لليمن» (الجمهورية – القاهرة ١١/ ٦/ ١٩٧٠)[١].

٦ – أنه بفضل ثورة ٢٦ سبتمبر (عام ١٩٦٢) وفضل الوجود المصري في أرض الجمهورية التي صنعتها هذه الثورة Revolution ، وبالاستناد الكامل إلى أرضها وعلى شعبها وعونها ، وعلى العون والدعم القومي السخي والقوي

(١) محمد علي الشهاوي : عبد الناصر وثورة اليمن ، مكتبة مدبولي ١٩٧٦، ص٥٩.

من جيش القاهرة هناك أمكن أن تنشب ثورة ٤ أكتوبر ١٩٦٣ في جنوب اليمن ضد الاستعمار البريطاني[١].

٧- أما الرد على المنطق القائل بأن مصر استدرجت إلى فخ استعماري في اليمن وأنها استنزفت هناك وأن ذلك كان من أسباب النكسة التي حلت بها في يونيو ١٩٦٧ وهو منطق تردده قطاعات من البورجوازية اليمنية والوطنية المصرية وأوساط قبلية في اليمن .. الرد عليه أن مصر - كمركز ثقل قومي ورائدة طبيعية للنضال العربي - لم يكن في مكانها أن تفر من نفسها ومن دورها المفروض عليها مجتمعية تاريخية وسياسيّة .. ولا حاجة للقول بأن مصر لم تنكس عسكريًّا عام ١٩٦٧ بسبب «حرب اليمن» التي - كما يقولون - استنزفتها واستنزفت جيشها هناك ، وإنما انتكست لأسباب «سياسة داخلية» أكثر منها عسكرية .. ولم يكن العدوان الصهيوني - الاستعماري (في ٥ يونيو ١٩٦٧) إلا الفصل الأخير لمسرحية مأسوية منسوجة ومرتبة سلفًا[٢].

- والحقيقة حسبنا هذه الشهادات «الثلاث» ، والتي حرصنا على طرحها بشكل كامل ، والتي منها شهادة اثنين من الضباط الأحرار ، وهم من الذين رافقوا عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) في مشوار حياته ، وفي ممارسة حكمه ، بينما كان الثالث باحث أكاديمي ، وكلهم أجمعوا على تثمين موقف عبد الناصر في حرب اليمن ، ودوره الرائد في مساندة حركات التحرر العربي ، ومنها ثورة اليمن.

(1) محمد على الشهاوي : عبد الناصر وثورة اليمن ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ١٩٧٦، ص٥٩.

(2) محمد علي الشهاوي : عبد الناصر وثورة اليمن ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، عام ١٩٧٦، ص٦٠.

٤

عبد الناصر.. والثورة الليبية

أ- ليبيا: التاريخ والاستعمار

تعتبر ليبيا صلة الوصل «الجغرافية» بين مصر والمغرب العربي، وتشترك برقة المنطقة الشرقية من ليبيا مع صحراء مصر الغربيّة في كثير من السمات والصفات الطبيعية.. فالواحدة منهما استمرار للأخرى وسكان ليبيا بعضهم من أصول عربية، والبعض الآخر من أصل عربي - بربري(١).. والبربر منهم ينتموا في أصلهم - كما يذكر كثير من المؤرخين - إلى العنصر الليبي القديم، الذي يرتبط مع الأصول التي ينتمي إليها المصريون القدماء.. أما القبائل العربية، والتي استوطنت ليبيا - بعد إقامة مؤقتة في مصر - وخاصة بعد الفتح العربي الإسلامي لمصر، وفتح الشمال الأفريقي - بعد ذلك.

- والجدير بالبيان أن ليبيا تعد رابع أكبر دولة في القارة الأفريقية من حيث المساحة إذا تبلغ مساحتها ١,٧٦٠,٠٠٠ كيلو متر مربع، ولها حدود طولها ٤٣٨٣ كيلو مترًا منها ٩٨٢ كيلو مترًا مع الجزائر و١٠٥٥ كيلو مترًا مع دولة تشاد و ١١٥٠ كيلو مترًا مع مصر و ٣٥٤ كيلو مترًا مع دولة النيجر و٣٨٣

(١) نجلاء أبو عز الدين : ناصر العرب، ترجمة فريد أبو عز الدين، دار المستقبل العربي، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٨، ص٢٤٢.

كيلومترًا مع جمهورية السودان و٤٥٩ كيلومترًا مع دولة تونس[١].

- ويوجد من هذه المساحة الليبية جزء قابل للزراعة، وتنحصر الأراضي الزراعية في المناطق الساحلية بين برقة وطرابلس تفصل بينهما الصحراء التي يصل نتوء منها إلى البحر حول خليج سرت، وتضم الصحراء الداخلية واحات قليلة متفرقة[٢].

- وبعد احتلال الجزائر عام ١٨٣٠ وتونس ١٨٨١ واحتلال مصر عام ١٨٨٢ والسودان أيضًا، واحتلال مراكش عام ١٩١٢ .. فلم يبق بعد ذلك في شمال أفريقيا على ساحل البحر الأبيض المتوسط Mediterranean Sea جزء لم تمسسه يد الاستعمار الغربي سوى إقليم طرابلس الذي يمتد غربي مصر مسافة أكثر من ألف ميل يصل ساحل البحر المتوسط، وكان الإقليم حينذاك تابعًا للدولة العثمانية .. فتآمرت بشأنه فرنسا وإيطاليا، واتفقنا سرًا على أن تترك إيطاليا فرنسا حرة في تغلغلها داخل مراكش، وفي مقابل ذلك لن تعترض فرنسا إذا امتدت يد إيطاليا، فسلبت من الأتراك إقليم «طرابلس»، وكان يشمل - وقتئذ - برقة وفزان وبعض الواحات[٣].

(1) أنتوني هـ. كوردسمان: بعد العاصفة، التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط، مجلد، دار الهلال، بدون تاريخ، ترجمة وتقديم وتعليق المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة، ص١٦٥.

(2) نجلاء أبو عز الدين: مرجع سابق ذكره، ص٢٤٣.

(3) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة، دار المعارف، مصر، عام ١٩٦٤، ص٤٢٩.

- ولم يجد الأسطول الإيطالي أية صعوبة تذكر في إخضاع المدن الساحلية الليبية طرابلس وبنغازي ودرنة ، ولكن القوات الإيطالية لم تجرؤ بعد على التوغل في الداخل الليبي.

- بيد أنه قد تفاوض السيد إدريس السنوسي (ابن عم السيد الشريف السنوسي والذي غادر البلاد تاركًا زعامة السنوسيين لإدريس) مع الإيطاليين بعد الحرب ، فاتفقوا معه على أن تكون له السلطة داخل إقليم برقة ، وتكون له الإمارة أيضًا بلقب (صاحب السمو) ، على شريطة أن يعترف لهم بحق السيادة ، فتم الاتفاق عام ١٩٢٠م، فأقام أهل طرابلس في عام ١٩٢٢م يدعونه لزعامتهم أيضًا ، وبذلك أصبح إدريس السنوسي يجمع في شخصه وحدة "برقة" و "طرابلس" [(١)].

- وسرعان ما عارضت دولة إيطاليا «المستعمرة» البيعة ، والتي قدمها «الطرابلسيون» للسنوسي [(*)] .. وعدّلت عن اتفاقها السابق معه ، وعادت

(1) محمد رفعت: مرجع سابق ذكره ، ص٤٣٢.

(*) تعود السنوسية من ناحية النشأة إلى مؤسسها محمد بن علي السنوسي (١٢٠٢ - ١٢٧ هـ - ١٧٨٧م - ١٨٥٩م) ، والذي ولد بالواسطة بالقرب من مستغانم بالجزائر .. وهو في الأصل مالكي المذهب.. وكان طموحًا للفروسية والعلم منذ النشأة .. والسنوسية السياسية قد اتخذت من الدولة العثمانية موقفًا يتراوح ما بين الصمت الحذر والمراوغة والعداء.. فهي قد أزعجت طلائع المد الاستعماري العربي على أفريقيا وأقلقت الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي وخاصة الجزائر .. وعندما ضغطت الدول الأوروبية الاستعمارية على السلطان العثماني عبد الحميد (١٢٥٨ هـ - ١٣٣٦ - ١٨٤٢ - ١٩١٨م) كي يوقف النشاط السنوسي استدعى المهدي السنوسي (١٢٦٠ - ١٣٢٠ هـ - ١٨٤٤ - ١٩٠٥م) ليقيم في الأستانة ، ويعيد للأذهان احتباس الأفغاني في القفص الذهبي .. ولكن السنوسي تخلص من هذا الفخ ، ونقل مقره بعيدًا في الصحراء الليبية .. فغادر جغبوب ثم الكفرة ، ثم إلى فرو بالسودان الأوسط .. والسنوسيّة معروفة بتشددها في القواعد الدينية.. ولزيادة التفاصيل في هذا الشأن.. انظر د. محمد عمارة في : «الاستقلال الحضاري» ، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٣ ص٥١، وما بعدها.

إيطاليا تناهض حركة المقاومة السنوسيّة بالإيقاع بين الزعماء – كما يذكر محمد رفعت – بعضهم وبعض تارة ، وبالقدر حينا وبالجيوش والدبابات والطائرات الإيطالية أحيانًا، ولذلك لم يلبث السيد السنوسي بعد بيعته أن غادر البلاد إلى مصر ، وبقى بها متصلًا بحركة المقاومة الليبية عن طريق أخيه «الرضا» ثم بوساطة الزعيم «عمر المختار» (١٨٥٨-١٩٣١) ، والذي قاد الحركة بعد رحيل السيد السنوسي. حيث اتخذ من «الجبل الأخضر» قاعدة ومعقلًا حصينًا لمقاومته[١].

- وكانت الحكومية الفاشية Fascism بزعامة موسوليني Mussolini (١٨٨٣ – ١٩٤٥م) قد وليت أمر إيطاليا في خريف عام ١٩٢٢م ، وفي مقدمة أغراضها السياسية السيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط Mediterranean Sea وإحياء مجد الإمبراطورية الرومانية القديمة ، وأن تستعيد إيطاليا أملاك وممتلكات «روما القديمة» ، والتي منها طرابلس[٢].

- وأخيرًا عين القائد الإيطالي المشهور « جراتزياني Graziani حاكمًا عامًا على برقة وطرابلس ، وأخذ يعمل على إخضاع المقاومة الليبية «الباسلة» بالوعد والوعيد ، وبمختلف وسائل التعذيب البشعة ، والتي تمثلت ذروتها في إلقاء «المجاهدين» الليبيين من الطائرات الإيطالية الشاهقة الارتفاع أثناء طيرانها على مواطنيهم وذويهم[٣].

(1) محمد رفعت : التوجيه السياسي للفكرة العربيّة الحديثة ، ص٤٣٢.

(2) محمد رفعت: مرجع سابق ذكره ، ص٤٣٣.

(3) محمد رفعت: مرجع سابق ذكره ، ص٤٣٣.

- وظل عمر المختار (١٨٥٨ - ١٩٣١) على نضاله المستميت، حتى نجحت القوات الإيطالية في محاصرته في الجبل الأخضر عام ١٩٢٦، مما اضطره إلى خوض حرب العصابات، حتى استنزف قوة الجيش الإيطالي، إلى حين القبض عليه ومحاكمته وإعدامه[١].

- فارتكبوا بإعدامه - كما يذكر محمد رفعت - إثمًا لا يزال عاره يلطخ صفحة استعمارهم إلى اليوم، وبموته انطفأ آخر بريق لحركة المقاومة في ليبيا، وأخذ الناس يتناقلون في جميع أنحاء العالم العربي Arab World أحدوثة البطل والبطولة التي اضطلع بها أهل برقة وطرابلس مدة عشرين عامًا، والتي تمثلت في جهاد السنوسيين، واستشهاد عمر المختار (١٨٥٨ - ١٩٣١) ومن سبقه من المجاهدين والشهداء[٢].

(1) إبراهيم عبد النبي : أشهر القادة، دار الحسام، ١٩٩٦، ص٢٣.

(2) محمد رفعت : التوجيه السياسي للفكرة العربيّة الحديثة - دار المعارف، طبعة عام ١٩٦٤، ص٤٣٤.

– وكانت ليبيا عند حصولها على الاستقلال Autonomy في كانون الأول – ديسمبر ١٩٥١ بلدًا فقيرًا لا تبشر توقعاته بمستقبل رغيد.. أما موقعها الجغرافي فذو أهمية إستراتيجية في التاريخ بالنسبة إلى الدول الكبرى ،وهذا ما قايضت الحكومة عليه مقابل معونة مالية ، فوقعت في يوليو عام ١٩٥٣م معاهدة تحالف بريطانيا «العظمى» لمدة عشرين سنة تنتج للأخيرة إقامة قواعد جويّة ومنشآت عسكرية مقابل منحة سنوية قدرها ٣.٧٥٠.٠٠٠ جنيه إسترليني .. وعقدت في السنة التالية اتفاقية أخرى مع الولايات المتحدة الأمريكية أتاحت استخدام قاعدة «هويليس» الواقعة في مدينة طرابلس وتسهيلات عسكرية أخرى حتى عام ١٩٧٠م[1].

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي ، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ ، ص٢٤٣.

– وعلى الرغم من سوء الاحتلال الإيطالي لليبيا وبشاعة أسلوبه ، وخاصة في ظل الحكومة الفاشية Fascism إلا أن الباحثة نجلاء أبو عز الدين – ترى أن الإيطاليين قد خلفوا أثرين إيجابيين: أحدهما المستوطنات الزراعيّة ، التي كانت نموذجًا لزراعة ناجحة ، ولكن هذه المستوطنات التي كان يملكها ويديرها المستوطنون الإيطاليون ما لبثت أنّ ذوت بعد أنّ غادرها أصحابها.. أما الأثر الثاني والدائم فهو الطريق الساحلي الذي يربط برقة بمقاطعة طرابلس ، ويمتد من حدود مصر إلى حدود تونس[1].

– ورغم اكتشاف النفط في ليبيا وتدفق ثروة كبيرة لم تكن تحلم بها من جراء اكتشاف وتنمية النفط، إلاّ أنه لم يستفد المواطن الليبي سوى القليل من الازدهار النفطي وإن كان المدخل من النفط قد زاد دخل الفرد في سنة ١٩٦٧م إلى ألف دولار بالمقارنة بثلاثين دولارًا عند الاستقلال Autonomy عام ١٩٥١.. فإن معظم الليبيين استمروا يعيشون كالسابق على رقم لا علاقة له بالمعدل، فقد تبددت الثروة البترولية في الاستهلاك المفرط ومشاريع البناء الفخيمة والفساد الحكومي المستشري إذ سقطت ثمار الثراء الضخم في أحضان أفراد القلة الحاكمة ، الذين جمعوا ثروات خيالية[2].

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب ، ص٢٤٣.

(2) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨، ص٢٤٤.

ب- القذافي وثورة ليبيا على النهج القوميّ الناصري:

يقول أنيس الدغيدي في كتابه «جنرال الحريّة، واصفًا التشابه بين معمر القذافي (١٩٤٢ -.....) وعبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) بشاعرية فياضة، وأنا أبحث في شخصية ناصر والقذافي الآسرة .. وأجول في مفهوم ذات كل منهما، وأسبح في مجهول نفسْ كل زعيم منهما تعجبت وأكرر : نعم تعجبت !! فهناك تشابه وصل إلى الامتزاج وتقارب بلغ شتى المعايير .. وانسجام تخطى كل تصور .. وتناغم واتحاد ويقين بين الزعيمين الكبيرين دنا من الانصهار وتجاوب وعشق سرمدي فات كل الحدود، وفاق كل المتاريس، وجاز كل ممكن وعَبر كل مُتاح فناهز الثُريا بسنوات ضوئية !!! [1].

- ولعل الزعيم الخالد (عبد الناصر) قد سلم العقيد القذافي - كما يذكر الباحث الليبي محمد عبد المولى - مفتاح السر أو لعل السر الذي سكن في قلب عبد الناصر قد انتقل إلى قلب معمر القذافي، فكما عمدّت الأمة العربية الزعيم الراحل رجلها ورافضة فارسها.. يخوض باسمها أنبل المعارك، ويقف في أشرف المواقع، كذلك ومن اللحظة الأولى أخذت بيد معمر

(1) أنيس الدغيدي: جنرال الحريّة، مكتبة جزيرة الورد، دار الدغيدي، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص٢٠.

القذافي ، لتضعه ، حيث يحيا من المكانة[1].

ويقول الباحث الليبي عبد المولى موضحًا ومؤكدًا على مدى التماهي بين شخصية القذافي وعبد الناصر ذاكرًا أنّ «كلاهما» من أنباء الفقراء .. فقراء الأمة العربية التي كدحت وتكدح من أجل مستقبلها وغيرها ، وكذلك كانت تفاصيل الحياة القريبة التي كانت في متناول أيدينا.. فإذا كان عبد الناصر قد خرج من الصعيد إلى الإسكندرية إلى القاهرة عابرًا حياة قاسية ، فإن معمر القذافي أيضًا قد خرج من الصحراء متجهًا إلى بنغازي ومصراته ، ومن ثم طرابلس ، وإذا كان عبد الناصر طالبًا وطنيًا تحمل سماته وقسماته ملامح الزعامة المبكرة وهو مازال في شرخ الشباب، فإن معمر القذافي أيضًا تطبع بنفس الطابع.. الأول قاد المظاهرات وضرب في جبهته بالرصاص والآخر قاد المظاهرات وتعرض لملاحقة البوليس الرجعي وإلى الطرد من المدارس ، إذا كان عبد الناصر قد دخل الجيش بنوازع وطنية قومية فإن معمر القذافي قد دخل الجيش بنفس النوازع[2].

- ألم يقل عبد الناصر لمعمر القذافي : « معمر أرى فيك صورة من شبابي»؟ ألم تتصل ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة بثورة يوليو العظيمة ، وأن تعتبر الثورتان رافدان كبيران في الثورة العربية الكبرى الحقيقية[3].

(1) محمد عبد المولى : معمر القذافي : الإنسان والقائد والقضية ، دار الكتب العربي ، طرابلس ، بدون تاريخ، ص٦٧.

(2) محمد عبد المولى : معمر القذافي .. الإنسان والقائد والقضية ، دار الكتاب العربي ، طرابلس، الجماهيرية ، ص٦٧ ، ٦٨.

(3) محمد عبد المولى: مرجع سابق ذكره ، ص٦٨.

- ويؤكد الباحث محمد عبد المولي على التماهي الكبير بين عبد الناصر (١٣٣٦ - ١٣٩٠ هـ - ١٩١٨ - ١٩٧٠م) والقذافي حتى في سطوع وانبلاج الثورتين وتقارب ظروف اندلاعهما ، فيقول: «وإذا كان أن نخلص إلى القول عن ماهية الزعامة العربية المعبرة عن ضمير الأمة العربية ، فإننا نقول أنها الزعامة التي سطعت فجأة في ليل الهزيمة والنكبة.. سطعت زعامة عبد الناصر بعد نكبة ١٩٤٨ ، وسطعت زعامة معمر القذافي بعد نكبة ١٩٦٧ ، وكانت الأولى ردًا عن الهزيمة ، وكانت الثانية ردًا عن الهزيمة[1].

ويروي محمَّد حسنين هيكل في كتابه «كلام في السياسة» عن ذكرياته لبدايات ثورة القذافي ، فيقول: كانت أنباء الثورة في ليبيا قد أعلنت للعالم الخارجي من إذاعات طرابلس وبنغازي ضحى يوم أول سبتمبر ١٩٦٩م ، وكان الإعلان مصحوبًا بالبيان الأول للثورة على مكتبي حوالي الساعة العاشرة صباحًا ، واتصلت بـ «جمال عبد الناصر» ، لكنه قد دخل إلى القاعة اجتماع طارئ لدول المواجهة (كما كانت تسمي في ذلك الوقت ، وكانت تضم مصر وسوريا والعراق والأردن) ، وكان المطلوب من هذه الدول تنسيق العمل العسكري على الجبهة الشرقية ، استعدادًا للمعركة القادمة مع إسرائيل.. وفي الساعة الثالثة والربع ، عاد جمال عبد الناصر إلى الاتصال بي يقول: إن ضابطًا ممثلًا لقيادة الثورة في ليبيا قصد القنصلية المصرية في بنغازي ، وأبلغ رسالة مفادها أن قيادة الثورة في ليبيا تريد اتصال سريع مع القاهرة»[2].

---

(1) محمد عبد المولى: مرجع سابق ذكره ، ص٦٨.

(2) محمد حسنين هيكل : كلام في السياسة ، قضايا ورجال: وجهات نظر (مع بدايات القرن الواحد والعشرين) ، المصرية للنشر العربي والدولي ، الطبعة الخامسة ، يناير ، ٢٠٠١ ، ص١٧٠.

- ويستطرد هيكل في روايته فيقول: «وفي أكتوبر ١٩٦٩ - أي بعد شهر من الثورة - جاء معمر القذافي إلى القاهرة للقاء مباشر وجها لوجه مع جمال عبد الناصر، وكان مشهد للحظة الأولى من اللقاء مؤثرًا من الناحية العاطفية، ومع ذلك فإن الكلام الذي دار بعد اللحظة الأولى كان في صميم أزمة الشرق الأوسط.. ولم يكن لدى «جمال عبد الناصر» تردد في الإجابة عما سأله فيه معمر القذافي، وإنما كانت إجابته واضحة:

١- لا تقترب من امتيازات البترول في ليبيا الآن، ليس ذلك هو الوقت المناسب.

٢- لا تحاول التسرع بإلغاء اتفاقيات القواعد في ليبيا، وذلك الآن استفزاز لا تحتاجون إليه.

٣- لا داعي لأي حديث عن الوحدة الآن بين مصر وليبيا، تلك مسألة يُستحسن تأجيلها إلى ما بعد مشكلة القواعد الأمريكية والبريطانية.

٤- هناك كثيرون يستطيعون المشاركة فيه ضمن الجهد العسكري العربي، ولكن أفضل أولًا أن تبحثوا أموركم في ليبيا أولًا وتعطوا أنفسكم فرصة للاستقرار.

لا تقلقوا من تأجيل إسهامكم العملي في الجهد العسكري، وتذكروا أن مجرد قيام الثورة في ليبيا، هذا الوقت بالذات، إضافة إستراتيجية كبرى إلى القوة العربية[1].

(١) محمد حسنين هيكل: كلام في السياسة قضايا ورجال: وجهات نظر (مع بدايات القرن الواحد والعشرين) المصرية للنشر العربي والدولي، الطبعة الخامسة، ٢٠٠١، ص١٧٥، ١٧٦.

– وبعد شهرين من اجتماعهما – في القاهرة – أتيحت لجمال عبد الناصر ومعمر القذافي فرصة التعرف الحقيقي كلاهما على الآخر بالصحبة المباشرة ، ففي ديسمبر ١٩٦٩ كان هناك موعد لمؤتمر قمة عربي ينعقد في الرباط يتدارس فيه الملوك والرؤساء العرب أحوال أزمتهم ومستجداتها ودرجة استعدادهم للعمل المشترك من أجل هدفهم المعلن وهو إزالة آثار العدوان (سنة ١٩٦٧)[١].

– والجدير بالبيان في هذا الصدد أن ثورة ليبيا أول سبتمبر ١٩٦٩ ، كانت مفاجأة لكل القوى المناهضة للثورة العربية ، سواء القوى الخارجية المتمثلة في الاستعمار الجديد والصهيونية العالمية أو القوى الرجعية المحلية على المستوى العربي عامة والليبي خاصة .. ورأت هذه القوى في هذه الثورة Revolution خطرًا كبيرًا على مصالحها[٢].

– وكان للوجود الاستعماري «المسلح» المتمثل في القواعد العسكرية الأمريكية والبريطانية (الملاحة الأمريكية وقاعدة العظم البريطانية) أثره في ضرورة قيادة قادة الحركة الثورية في ليبيا بحسابات دقيقة وعبارات محسوبة لا يتخذ الاستعمار Colonialism من هذه القواعد فرصة لضرب الثورة والإجهاز عليها في أي لحظة[٣].

– كانت مصر أول دولة تعترف بالنظام الثوري الجديد في ليبيا ، وكان

(1) محمد حسنين هيكل: كلام في السياسة ، ص١٧٦.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو» تحرير د: رءوف عباس حامد ، مركز الدراسات والإستراتيجيات ، الأهرام، القاهرة، يوليو ، ١٩٩٢، ص٢٣٢.

(3) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، ١٩٨٨، ص٢٤٦.

واضحًا أن عبد الناصر (١٣٣٦ – ١٣٩٠ هـ – ١٩١٨ – ١٩٧٠) يعتبر نجاح هذه الثورة Revolution وتثبيت أقدام القائمين بها مسئولية شخصية بالنسبة له ، فهي قد أضافت إلى الحركة التي قامت في السودان في مايو ١٩٦٩ (بقيادة النميري) دعمًا جديدًا للثورة العربية ، ودللت على أن التحرك العربي نحو التغلب على آثار هزيمة يونيو / حزيران عام ١٩٦٧م يسير في خط صاعد وأن إمكانية التجمع العربي على أساس قوميّ مازالت قائمة وصاعدة[١].

– وقد أمدت مصر الثورة من بداية اندلاعها بكل أشكال الدعم ، فاستجاب عبد الناصر بطلب مجلس قيادة الثورة للمساعدة في احتياجات الثورة لإعادة تنظيم الجيش، والأسلوب المقترح والأفضل لتقديم الخبرات المصرية وبالصورة المقبولة ، والتي لا تولد أي حساسيات بين البلدين الشقيقين[٢].

– وفي المجالات المدنية قدم عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) كل ما طلب منه من جانب ليبيا ، وقد وضح اهتمامه بالثورة الليبية في رسالة للقذافي في ١٢ أكتوبر ١٩٦٩ والتي حملها للعقيد القذافي محمد حسنين هيكل ، وقد ركزت الرسالة على أهمية دعم الثورة الليبية ، والحرص عليها ، وتقدمها باعتبارها أملًا عزيزًا تحقق للأمة العربية[٣].

---

(1) د. فؤاد المرسي خاطر : الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، في كتاب (أبعون عامًا على ثورة يوليو) ، مؤسسة الأحرار، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية عام ١٩٩٢ ، ص٢٣٣.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: مرجع سابق ذكره ، ص٢٣٤.

(3) د. فؤاد المرسي خاطر: مرجع سابق ذكره ، ص٢٣٤.

- لقد حرر الثوار الجدد ليبيا من وضع المحمية إذ توصلوا خلال أشهر من تسلمهم الحكم إلى اتفاق مع الحكومتين البريطانية والأمريكية على إنهاء المعاهدات التي أعطتها تسهيلات عسكرية في ليبيا ، وتم في يونيو (حزيران) عام ١٩٧٠م الجلاء عن القاعدة الأمريكية في مطار هويليس» اسم عقبة بن نافع أحد أبطال الفتح العربي الإسلامي بشمال أفريقيا في القرن السابع الميلادي، وأصبح قاعدة «العظم» قرب طبرق تعرف بمطار جمال عبد الناصر [1].

- وقد أكد معمر القذافي – دائمًا استعداد بلاده لتقديم كافة إمكاناتها لخدمة المعركة العسكرية ضد إسرائيل (الصهيونية) موضحًا أن إقدامهم على شراء صفقة طائرات «الميراج» الفرنسية كان هدفه الرئيسي من إبرامها دعم القوات الجوية المصرية بهذه الطائرات، وأنهم على أهبة الاستعداد لتزويد القواعد المسلحة المصرية باحتياجاتها من الأسلحة والمعدات العسكرية الفرنسية.

- وقد كان الاجتماع الأخير مع القذافي (١٩٤٢ - .....) وجمال عبد الناصر قد تم عمل مذكرة لعرضها على مجلس قيادة الثورة الليبي تتضمن:-

١- تشكيل مجلس حرب موحد من وزير الدفاع في البلدين يستهدف خطط الدفاع اللازمة – وضع المقترحات العامة اللازمة للدفاع عن البلدين – إعداد خطة بناء القوات المسلحة للدولتين – تقديم ميزانية الدفاع السنوية لمشروعات الدفاع المشترك – العمل على توحيد القوانين.

٢- ينشأ المجلس سكرتارية دائمة من الخبراء العسكريين في الدولتين.

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨، ص٢٤٦.

٣- تعرض قرارات المجلس على رئيسي الدولتين للتصديق عليها.. وتسلم معمر القذافي صورة من المذكرة لمناقشتها مع أعضاء مجلس قيادة الثورة، وعاد إلى ليبيا في ديسمبر ١٩٧٩.

- كان عبد الناصر (١٣٣٦ - ١٣٩٠ هـ - ١٩١٨ - ١٩٧٠م) يرى أن التنسيق بين مصر والسودان (بعد ثورتها عام ١٩٦٩) وليبيا يمثل تحالفًا ثوريًّا وصولًا إلى تحقيق التغيير الاجتماعي المنشود والأمل، والتقدم لمصلحة الجماهير العربية على طريق النضال العربي لتحقيق الوحدة العربية.

ومن أجل ذلك تم التفاهم بين عبد الناصر والقذافي (١٩٤٢ - .....) وجعفر النميري (ت ٢٠٠٩) لعقد اجتماع في طرابلس .. وبالفعل عقدت اجتماعات لمناقشة ميثاق «طرابلس»، ويهدف البدء في اتخاذ خطوات إيجابية كمرحلة أولى لتوحيد القوات المسلحة على طريق الوحدة الشاملة للدول الثلاث، وقد تم بالفعل بعد مباحثات استغرقتا يومي ٢٦، ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩م، حتى تم الاتفاق على إصدار بيان ثلاثي في ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩[1].

ويقول جمال العطيفي في كتابه «في حياة عبد الناصر» في هذا الصدد: «كان المغزى العظيم لهذا اللقاء أنه يقيم جبهة عربية ثورية تنطلق بقدرات ليبيا ومصر والسودان في تجانس حضاري، وأنه قد تم على أرض ليبيا التي تمكنت بفضل ثورتها ونضال وتصميم طلائعها الثورية من تصفية القواعد العسكرية الأجنبية، فهو بذلك كان تأكيدًا؛ لأن هذا النضال يوسع جبهتنا المقاتلة في وجه

(١) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو»، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ص٢٣٧.

العدو وبه يتسع ميدان القتال ضده من القاهرة إلى طرابلس إلى الخرطوم ، حيث تحشد كافة الطاقات والإمكانيات وصولًا إلى النصر ، وهو الرد الحاسم على الهزيمة ورفضها ، كما أن اللقاء كان دعمًا ماديًا للثورة الفلسطينية الباسلة ، والحق المشروع لفلسطين في استعادة حقوقه.

فهذا الاتفاق على طريق الوحدة كان انطلاقًا من الشعور الذي سبق للرئيس عبد الناصر أن رفعه وهو وحدة الهدف كطريق إلى الوحدة العربية The Arab Unity[1].

– وقد أكد اتفاق طرابلس أهمية العربي الموحد بين البلدان الثلاثة (مصر – ليبيا – السودان) تحقيقًا لأهدافها بما يعود بالرفاهية والمنفعة المتبادلة على شعوب البلدان الثلاثة وعلى الأمة العربية The Arab Countries جمعاء .. كما وضع اتفاق طرابلس خطوات مدروسة للتوصل إلى ذلك ، فعقد اجتماعات دورية للرؤساء الثلاثة كل أربعة أشهر لمتابعة الأهداف والمبادئ التي أعلنتها ثوراتهم، وأماني وتطلعات الأمة العربية The Arab Countries في الحرية والاشتراكية Socialism والوحدة ، كما تنشأ لجان مشتركة في كافة المجالات لوضع الأسس الكفيلة بتحقيق التعاون والتكامل بين الأقطار الثلاثة : (مصر – ليبيا – السودان)، مما يعود بالمنفعة المتبادلة والتكامل بين الشعوب الثلاثة[2] .

وتنفيذًا لاتفاق طرابلس – كما يذكر جمال العطيفي – التقى الرؤساء الثلاثة : (عبد الناصر – القذافي – النميري) في دورتين أخريين إحداهما في القاهرة في

(1) جمال العطيفي : في حياة عبد الناصر ، ص١٥٩ وما بعدها.

(2) جمال العطيفي : في حياة عبد الناصر ، ص١٥٩ وما بعدها.

فبراير ١٩٧٠ والثانية في الخرطوم في مايو ١٩٧٠ ، وشكلت لجان ثمان مشتركة لخبراء الدول الثلاث مهمتها تحقيق التعاون والتكامل بينهما في كل المجالات ، كما عقدت اجتماعات مشتركة بين الوزراء المختصين في الشؤون الخارجية ، وفي الاقتصاد ، وفي الزراعة والصناعة والإعلام والتربية والتعليم[١].

- وهكذا كانت لقاءات الثورات الثلاث تجسيد آمال الشعب العربيّ في رفض الهزيمة ، وتؤكد الإصرار على النضال من أجل النصر ، والتوجه بخطوات جادة نحو الوحدة .. وكان ما تضمنت من اتفاقيات وتوصيات ، التي ترتبت على الاجتماعات المشتركة خطوة إيجابية إذا ما وضعت وضع التنفيذ بعيدًا عن العوائق والعراقيل المختلفة[٢].

---

(1) جمال العطيفي : في حياة عبد الناصر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠، ص١٦٠.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب : «أربعون عامًا على ثورة يوليو» ، مؤسسة الأهرام ، مركز الدراسات السياسية عام ١٩٩٢ ، ص٢٤٠.

- ويمكن القول ومعنا بعض الباحثين بأن تتبع مسيرة الثورة الليبية يؤكد المساندة المخلصة والقوية لهذه الثورة Revolution من جانب الثورة المصرية (بزعامة عبد الناصر)، والتي اعتبرت قائدها معمر القذافي بمثابة الأمين على القومية العربية The Arab Nationalism، كما كانت المساندة التي قدمتها القيادة المصرية – كما يذكر فؤاد المرسي خاطر – قد جاءت في إطار تخطيط واع ملم بطبيعة التحديات التي يمكن أن يفرضها أعداء التحرر العربي، الأمر الذي اهتمت به الثورة المصريّة بدراسته جيدًا، بهدف تجنيب وإبعاد الثورة الليبية (بقيادة القذافي) اتخاذ مواقف تحد من قدرة مسيرتها الثورية، وانطلاقتها، كما أن هذه المساندة (المصريّة) لم تقف عند حدود تأمين الثورة Revolution، بل تعدت ذلك، وقدمت كل الخبرة المصريّة المتاحة في كل مجالات التنمية، لرفع مستوى معيشة الشعب الليبي، وسيطرة أبنائه على ثروات أرضهم بعيدًا عن كل صور الاستغلال الأجنبي.

- وهكذا نجحت ثورة ليبيا في عامها الأول في تحقيق الاستقرار والاستمرار، وما كادت تحتفل بمرور عامها الأول، حتى صدمت وصدمت معها الأمة العربية The Arab Countries كلها بوفاة عبد الناصر في الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٧٠[1].

(1) فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب: «الأربعون عامًا على ثورة يوليو» (تحرير د. رؤوف عباس حامد)، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام، يوليو، ١٩٩٢.

٥

عبد الناصر ... وثورة السودان عام ١٩٦٩

أ- السودان : التاريخ والجغرافيا السياسيّة والاستعمار البريطاني :-

من المعلوم جغرافيًا أن السودان من أكبر الدول في إفريقيا ، فمساحتها الكلية ٢.٥٠٥.٨١٠ كيلو متر مربعًا ، وهذا يساوي ربع حجم الولايات المتحدة الأمريكية – كما يذكر أنتوني هـ . كوردسمان الاستراتيجي الأمريكي – وتمكن

أهمية «السودان» الإستراتيجية في سيطرته على معظم المياه الواردة من النيل ، وسواحله الـ ٨٥٣ كيلومتر على البحر الأحمر ، وحدوده مع كثير من دول أفريقية أخرى.. فللسودان حدود طولها ١١٦٥ كيلو مترًا مع أفريقيا الوسطى و ١٣٦٠ كيلو مترًا مع تشاد ، و١٢٨٣ كيلومترًا مع أفريقيا الوسطى ، و١٣٦٠ كيلو مترًا مع دولة أوغندا ، و٦٢٨ كيلو مترًا مع دولة زائير (الكونغو) ، وتعداد سكان السودان حوالي ٢٧.٢ مليون نسمة (حسب إحصائيات التسعينيات من القرن العشرين) ، ومعدل النمو السكاني ٣٪ ، وهي مقسمة بشدة عرقيًا ، فحوالي ٥٢٪ من سكان سود ، ٣٩٪ عربي ، ٦٪ بيجا ، ٢٪ أجانب ، و١٪ آخرون .

- والعرب في الشمال كلهم تقريبًا مسلمون سنيون ، وكذلك كثير من السود الأمر الذي يجعل الدولة ٧٥٪ منها مسلمون ، وحوالي ٢٠٪ لا دينيون ، و٥٪ مسيحيون كلهم من السود .. ففي الجنوب أدى ذلك إلى انقسام مرير بين العرب واللاعرب ، والمسلمين وغير المسلمين، وانقسام الجنوب عن الشمال[1].

(1) أنتوني هـ. كوردسمان : بعد العاصفة التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط ، دار الهلال، مجلد بدون تاريخ ، ترجمة وتقديم وتعليق المشير عبد الحليم أبو غزالة ، ص٦٨٦.
- ويقدر أول تعداد للسكان عام ١٩٥٦ (فور الاستقلال) أن البلاد بها ٧٥٢ قبيلة ، وأنهم يتحدثون ١١٤ لغة مكتوبة ومنطوقة ، ومن بين هذه اللغات توجد ٥٠ لغة في جنوب السودان، وبالنسبة للأصول الإثنية يتضح أن ٤٠٪ من إجمالي السكان عرب أو ينتسبون إلى قبائل عربية ، وأن ٣٠٪ من إجمالي السكان جنوبيون من أصول أفريقية ، وأن ١٢٪ من السكان من قبائل غرب أفريقيا ، وأن ١٢٪ نوبايون بوجاه ، وأن ٣٪ نوبيون ، وأن ٣٪ أجانب مولدون ، وبالنسبة للتقسيم اللغوي في البلاد: فإن ٥١٪ من السكان يتكلمون العربية ، و٤٨٪ يتكلمون لغات ولهجات أخرى. ولزيادة التفاصيل ، ولمعرفة الاختلاف في الإحصائيات والبيانات – انظر: عبد الملك عودة في: السياسة الدولة العدد ١٠٩ ، يوليو ١٩٩٢، بعنوان «مستقبل جنوب السودان بين وحدة الدولة أو الانفصال» ، وانظر أيضًا لزيادة التفاصيل طلعت رميح: في كتاب مستقبل السودان ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٩٤، ص٤٩.

ويقول طلعت رميح في كتابه «مستقبل السودان» أنه : «تحتوي الأراضي السودانية على حوالي ٢٠٠ مليون فدان من الأراضي الخصبة القابلة للزراعة ، و٤٠٠ مليون مليون فدان من المراعي والغابات ... ورغم هذه المساحة الهائلة الاتساع – تساوي مساحة مصر مرتين ونصف المرة – فإن عدد سكان السودان وفقًا لتقديرات عام ١٩٩٢ لا يزيد عن ٢٧ مليون نسمة فقط يمثلون سدس سكان العالم وأقل من نصف سكان مصر!!(١).

– والسودان الذي تشكلت حدوده هذه لم يكن يومًا معروفًا بهذا الاسم أو التكوين الجغرافي أو المساحي في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي قبل أن يقوم محمد علي (١٧٦٩ – ١٨٤٩) بغزو ممالكه المستقلة وتوحيده على الصورة الحالية ، إذ عندما غزا محمد علي باشا (١٧٦٩ – ١٨٤٩) والي مصر.. والسودان، واحتل أراضيه في الربع الأول من القرن التاسع عشر ، لم يكن هناك ثمة كيان سياسي موحد باسم ذلك القطر(٢).

– فإن غزو السودان وتوحيده لم يتم دفعة واحدة ، كما أنّ السودان الذي تسلمه أهله بعد إعلان الاستقلال لم يكن السودان الذي غزاه محمد علي ووحده، بل هو السودان بعد أن اقتطعت الدول الاستعمارية (بريطانيا – فرنسا وبلجيكا) أجزاء منه وأضافوها لدول أخرى!!(٣).

---

(1) طلعت رميح: مستقبل السودان ، دار الطباعة الحديثة ، عام ١٩٩٤، ص٢٣.

(2) طلعت رميح : مستقبل السودان (أزمة الحكم – أزمة الجنوب – أزمة الهوية) ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٩٤م ، ص٢٤.

(3) طلعت رميح : مرجع سابق ذكره ، ص٢٤.

- وإذا كان الحكم التركي / المصري قد بدأ عام ١٩٢١ ببدء غزو محمد علي (١٧٦٩ - ١٨٤٩) للسودان ، وإذا كان خلفاء محمد علي باشا تابعوا غزو بقية أقاليم السودان ، وفرض أجهزة الحكم التي ستخدم طموحاتهم ومطامعهم في السودان ، ورغم أن انجلترا اضطرت اضطرارًا لعقد اتفاقية مع مصر في عام ١٨٧٧م ، إلا أن نفس المخطط الاستعماري ، الذي طبق في مصر ، وأدى لثورة أحمد عرابي (١٨٤١ - ١٩١١) أي: التغلغل والسيطرة الاقتصاديّة هو نفسه الذي طبق – بالفعل – في السودان ، وأدى لاندلاع وانفجار الثورة القومية الأولى في السودان في الفترة من ١٨٨١ - ١٨٨٨[١].

- فقد كانت الضربة التي وجهت للحركة الوطنية القومية السودانية بهزيمة الثورة الإسلامية كانت قاسية مثلها في هذا الشأن مثل ما أصاب الحركة الوطنية، التي انكسرت بعد هزيمة أحمد عرابي (١٨٤١ – ١٩١١) والثورة العرابية[٢].

- وكان من نتائج الحكم التركي / المصري وهو وضع السودان بما في ذلك الأجزاء الجنوبية في البلاد تحت سيطرة مركزية واحدة ، وكان أهمها مدينة الخرطوم «النهرية» ، وكان لنقل مركز السلطة .. إلى الخرطوم.. من دافور وسنار في الأطراف نتائج كبيرة على التنمية السياسية في السودان... حيث كان يعني تقوية موقع السودان النهري الأوسط على حساب الأطراف ، ولعل أهمية الفترة المهدية (٨٥ – ١٨٩٨) لمراحل تشكيل دولة السودان ، وتحديد تخومها لا تكمن

(1) طلعت رميح : مستقبل السودان ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٩٤، ص٣١.

(2) طلعت رميح : مستقبل السودان ، ص٣٤.

في دعوة المهدي(*) لتأسيس دولة إسلامية .. وإنما في قدرته كقائد كاريزمي على استغلال ظروف السخط والسأم السياسي ، الذي وضع أسسه ورسبه الحكم التركي – المصري وتوحيد السودانيين الهامشيين لدحر مركز السلطة السياسيّة في الخرطوم.

ويقول أنتوني كوردسمان أنه قد : «فرضت بريطانيا الوحدة مع الجنوب وشمال السودان بعد عام ١٨٩٩ رغم أنها استمرت في إرسال قوات إلى الجنوب حتى عام ١٩٢٨ ، وهذه الوحدة المفروضة أصبحت مشكلة منذ ذلك الوقف ، عندما سمحت بريطانيا (العظمى) بالحكم الذاتي المحدود عام ١٩٥٥ عارضت بعد الوحدات العسكرية من السود الجنوبيين في الفيالق الاستوائية هذه الوحدة، التي كانت تعاني سيطرة العرب في الشمال»(١).

(*) تنتسب المهدية إلى مؤسسها محمد أحمد المهدي (١٢٦٠- ١٣٥٢هـ - ١٨٨٤ – ١٨٨٥م) ، والذي كان ميلاده في جزيرة لبب في أسرة فقيرة .. مارس التعليم ، ثم اتجه إلى التصوف والزهد ، وتنسك حتى زاعت شهرته ، وانتشر ذكره بين الناس .. وفي عام ١٨٨١ أعلن أنه المهدي ، وأن الرسول ﷺ قد جاءه في الرؤيا .. وقد حصل «المهدي» على البيعة له «بالمهدية» ، كان المبايعون له يعطونه أنفسهم وأموالهم ، وكان ذلك بمثابة الرمز للتجسيد والجماعة والدولة .. وكان لمحمد أحمد «المهدي» طموح إلى الإصلاح العام للمجتمع ، وإلى بناء مجتمع على غرار ومنوال مجتمع الرسول ﷺ في صدر الإسلام ، وقد استعان على ذلك الإصلاح بالفقهاء والحكام، لكنهم خذلوه ، فاتجه إلى الناس ، ولمزيد من التفاصيل.. انظر: د. محمد عمارة : في الاستقلال الحضاري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٩٩٣ ، ص٥٩ وما بعدها.

(١) عصام عبد الفتاح : أشهر الثوار والثورات في تاريخ أفريقيا والعالم ، كنوز للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨،ص١٩٠. =

ب- عبد الناصر وانبلاج ثورة النميري عام ١٩٦٩:

- ومنذ إعلان استقلال السودان رسميًا في أول يناير ١٩٥٦ لم تحاول مصر في عهد عبد الناصر التدخل في الشأن الداخلي للسودان ، إيمانًا بموقف الثورة Revolution بضرورة التأكيد على ترك السودانيين يديرون أمورهم بالشكل الذي

=- ظهرت حركة تحرير الأرض أو أنونيا ANYNYA عندما سمحت بريطانيا بالحكم الذاتي المحدود على السودان عام ١٩٥٥ بعد معارضة الوحدات العسكرية من السود الجنوبيين في الفيالق الاستوائية بعد أن فرضت بريطانيا (العظمى) الوحدة على شماله وجنوبه بعد عام ١٨٩٩.. وفي الفترة التي تلك الاستقلال مباشرة قامت عناصر السود المكونة لحركة أنونيا بإنشاء قوات غير نظامية تدريجيًا ودارت إغارات متناثرة في الجنوب.. وحاول العسكريون السيطرة على الجنوب ، وتمكنت أنونيا أو أنانيا من اكتساب بعض القوة ، وتحولت إلى حركة أطلقت على نفسها اسم الاتحاد القومي للسودان الأفريقي SANU عام ١٩٦٣ بقيادة إميل تافينج ، وظلت في صراع مع الحكومات المتعاقبة إلى أن استطاع جعفر النميري (ت ٢٠٠٩) عام ١٩٧٢ من إنهاء الحرب الأهلية .. بإنهاء المقاومة السعداء ، وذلك بمنح الجنوب درجة ملموسة من الحكم الذاتي.. وفي عام ١٩٨٣ قام جون جارانج بتأسيس جيش التحرير السوداني SPLA من عناصر مناهضة للحكومة ، وكانت تدعم قضية السودان الأسود ، إلا أن تمت وفاقته في ظروف غامضة بعد أن سقطت طائرته ، وتولى سلفاكير ، والذي سيعمل على فصل جنوب السودان عن شماله من خلال الاستفتاء ، والذي تدور رحاه منذ يوم ٩/ ١/ ٢٠١١ أثناء قيامنا بإعداد الدراسة ، وكل المؤشرات تؤكد فصل الجنوب عن الشمال بعد أن اشتركت الحكومات السودانية المتعاقبة والأنظمة العربية على إحداث ذلك الحدث الكارثي.. ولزيادة التفاصيل عن الحركة وأصولها – انظر أنتوني كورسمان: بعد العاصفة التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط ، دار الهلال ، ص٦٨٩ ، وما بعدها.

يرتضونه، ويقبلون عليه[1].

ومع ذلك دخلت العلاقات المصريّة السودانية في مرحلة غير ودية ، حيث لم يكن التوجه القومي العربي سمة للحكومات السودانية والأنظمة السودانية ، التي تولت شؤون البلاد.. وظلت الأمور السودانية متعاقبة بين عديد من الاضطرابات والانقلابات والتوترات ، حتى ظهر في الأفق السوداني العقيد جعفر النميري (ت ٢٠٠٩) وثورته في عام ١٩٦٩ بعد مرور عامين (تقريبًا) على نكسة ٥ يونيو / حزيران عام ١٩٦٧م.

- ولكن قبل أن نوضح ما حدث في الانقلاب الثوري السوداني عام ١٩٦٩ نوضح بعض الشيء عن حقيقة من قام به وهو جعفر النميري ، وهو أشهر من حكموا السودان من ٢٥ مايو ١٩٦٩ وحتى عام ١٩٨٥م.

- أتم نميري مرحلته الدراسية الأولية بمدرسة الهجرة بأم درمان ، والوسطى (الابتدائي) بمدرسة ود مدني ، ثم مدرسة حنتوب.. وبعد ذلك تقدم النميري (ت ٢٠٠٩) لكلية جردون ، ولكنه آثر الالتحاق بالكلية الحربية السودانية عام ١٩٥٠ ، ثم تخرج في الكلية الحربية بأم درمان ١٩٥٢ ، وحصل على الماجستير في العلوم العسكريّة من أمريكا .. عمل ضابطًا حرًا في الجيش السوداني قبل أن يصبح رئيس مجلس ثورة مايو ١٩٦٩ ، وتقلد الرئاسة من مايو ١٩٦٩ حتى ١٩ يوليو ١٩٧١ ، وعاد للسلطة بعد دحر انقلاب الشيوعيين يوم ٢٢ يوليو ١٩٧١.. انتخب رئيسًا للجمهورية في أكتوبر عام ١٩٧١ واستمر في

(١) د. فؤاد المرسي خاطر : الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ، ١٩٥٢ في كتاب (أربعون عامًا على ثورة يوليو) ، الأهرام ، يوليو ، ١٩٩٢ ، ص٢٨٨.

الحكم إلى أبريل ١٩٨٥[١].

- ويرى أنتوني كوردسمان في كتابه «بعد العاصفة» : أن «العقيد جعفر محمد النميري قد استولى على السلطة عام ١٩٦٩ بمعونة الماركسيين والاشتراكيين ، وانحاز إلى مصر وليبيا والاتحاد السوفيتي ، كما قام بقمع أية معارضة إسلامية بقسوة ، وفي عام ١٩٧٠ أخمد ثورة مهدية بعنف غير عادي ، ومع ذلك تحول موقف النميري عام ١٩٧١ عندما أسره انقلاب يتبنى الماركسية Marxism ، ولكن الانقلاب أخطأ في محاولة استخدامه كواجهة ، وتمكن النميري من الالتفاف حول الشيوعيين ، واستعاد السيطرة Dominance ، بعد ذلك قام بتوسيع قاعدته السياسيّة في الشمال، وبدأ التفاوض مع الجنوب ، وتمكنت هذه المفاوضات من إنهاء الحرب الأهلية في السودان في مارس ١٩٧٢ ، وتوسطت أثيوبيا بين النميري وحركة تحرير السودان الجنوبي وإنهاء المقاومة العسكرية السوداء، وذلك بمنح الجنوب السوداني درجة ملموسة من الحكم الذاتي Autonomy... وفي عام ١٩٧٥م واجه النميري تحديًا جديدًا من القذافي (١٩٤٢ - ...) عندما قامت ليبيا بمساندة انقلاب إسلامي يسانده الماركسيون ، وتمكن النميري (ت ٢٠٠٩) من السيطرة على الخرطوم بسبب تدخل القوات المصرية إلى جانبه ، حينما كان السادات حاكمًا لمصر[٢]» .

- ومع أن عهد جعفر النميري ، والذي دام ١٦ عامًا قد عرف أطول هدنة

(1) عصام عبد الفتاح : أشهر الثوار والثورات في تاريخ أفريقيا والعالم ، كنوز للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨، ص٢٠١.

(2) أنتوني هـ كوردسمان : بعد العاصفة التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط، ترجمة وتقديم وتعليق المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة، دار الهلال ص٦٩١.

بين المتمردين – كما يذكر عصام عبد الفتاح – والحكومة المركزية بالخرطوم دامت ١١ عامًا ، فإنه عرف أيضًا ظهور الحركة الشعبية وجناحها العسكري لجيش الشعب لتحرير السودان.. كما عرف بروز جون جارانج أبرز زعماء المتمردين[١].

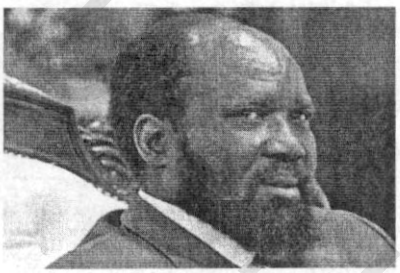

– ففي عام ١٩٨٣م قام ضابط جيش سوداني يُدعى (جون جارانج) حاصل على درجة علمية في الزراعة من جامعة إيووا ، وحضر دورة في المشاة في فور بينتج بجورجيا بتشكيل جيش التحرير الشعبي السوداني (SP/A) من عناصر مناهضة للحكومة كانت تدعم قضية السودان الأسود فيما بين عام ١٩٥٥ وعام ١٩٧٢ ، وسرعان ما تحول هذا الجيش إلى قوة قادرة على القتال وإدارة حرب أهلية طويلة ، وأطلق على قواته العسكرية اسم انيانا Anyana (وتعني: سم الأفعى)[٢].

– وما يتوجب توضيحه في هذا الصدد أن نبين العلاقة بين عبد الناصر

---

(1) عصام عبد الفتاح: أشهر الثوار والثورات في تاريخ أفريقيا والعالم ، كنوز للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨، ص٢٠٢.

(2) أنتوني هـ. كوردسمان : بعد العاصفة التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط ، ترجمة المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة ، دار الهلال ، ص٦٩١.

– وقد ذكر العديد من الكتاب وعلى رأسهم الكاتب الإسلامي فهمي هويدي في جريدة الشرق المصرية يوم ١٨/ ١/ ٢٠١١ بأن الرئيس الأوغندي موسيفيني كان الشخصية الضالعة في اغتيال جون جارانج وتهديده سلفه سلفاكير لدفعه إلى الانفصال الجنوبي السوداني عن شماله ، والتي بدأت بوادره في الظهور ، والتأكد من خلال الاستفتاء في ٩/ ١/ ٢٠١١.

وثورة النميري في عام ١٩٦٩م.

فإنه بإعلان حركة الجيش السوداني، وقيامه بانتفاضة في صباح يوم ٢٥ مايو ١٩٦٩م، واستيلاء الحركة على مقاليد الأمور والحكم في السودان، وتم تشكيل مجلس قيادة الثورة برئاسة العقيد جعفر محمد النميري، وتشكيل وزارة جديدة برئاسة بابكر عوض الله وما فتئت أنباء الحركة أن هزت أرجاء الوطن العربي وشعوبه، وتردد صداها عالميًا، فقد كانت الحركة الثانية في الوطن العربي (بعد حركة العراق في عام ١٩٦٨) بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧، وسرعان ما أظهرت بضباطها تأييدهم لمصر من بيانها الأول للحركة[1].

- وقد رحبت مصر (عبد الناصر) بحركة الجيش في السودان، وبادرت بالاعتراف بالنظام الجديد بقيادة النميري (ت ٢٠٠٩)، حيث توطدت العلاقة بين القاهرة والخرطوم، وتناغمت سياسة الدولتين (مصر والسودان)، وانسجمت حول مشكلة الشرق الأوسط Middle East، ورفض الهزيمة ونكسة يونيو / حزيران ١٩٦٧م، والعمل العربي على إزالة آثار العدوان، فقد كان عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠) يرى في السودان المتعاون مع مصر العمق الاستراتيجي، وكان السودان يرى دائمًا في عبد الناصر السند الحقيقي والرافعة للوضع السوداني.

- فقد كان الدليل على التعاون في عدة مجالات ولاسيما في المجال العسكري

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب (أربعون عامًا على ثورة يوليو) تحرير د. رءوف عباس، مؤسسة الأهرام، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، يوليو ١٩٩٢، ص٢٣١.

بين البلدين (مصر والسودان) أن استقرت بعض أسراب الطائرات المصرية هناك بعيدًا عن العدوان الإسرائيلي ، حيث كانت حرب الاستنزاف على أشدها .. كما انتقل طلاب الكلية الحربية إلى الخرطوم إلى أن قامت ثورة ليبيا في أول سبتمبر ١٩٦٩م ، فبدأت علاقة ثلاثية انتهت بتوقيع ميثاق طرابلس في ديسمبر ١٩٦٩م.

- وقد عبر عبد الناصر (١٣٣٦ - ١٣٩٠هـ - ١٩١٨ - ١٩٧٠م) عن أهمية السير في الطريق بخطوات ثابتة في ٢٠ مايو ١٩٧٠ قائلًا: «وقد اتفقنا حينما اجتمعنا نحن رؤساء الدول الثلاث على ألاَّ نأخذ أي خطوة من الخطوات قبل أن نناقشها شعبيًا وجماهيريًا بواسطة الشعب في كل بلد من البلدان الثلاثة وبواسطة الجماهير حتى تحصن الجماهير ضد قوى الاستعمار ، وحتى تحصن الجماهير ضد القوى التي حاولت دائمًا أن تضعنا في مناطق النفوذ.. ونحن نعتقد بعون الله وبكم أننا نسير في اتفاقنا اتفاق طرابلس ، الذي وقع في ديسمبر من العام الماضي خطوة خطوة ؛ كي نحقق مصالح الأمة العربية كلها.. إننا نكون قوة من دول ثلاث متجاورة تجمع مواردها تجمع قوتها وتجمع الشعوب العربية الموجودة فيها من أجل الأمة العربية ، ومن أجل قوتها ، ومن أجل الدفاع عن هذه الدول ، ومن أجل البناء ، ومن أجل التعمير ، ومن أجل تعويض ما فات»[1].

- وقد أوضحنا في الصفحات السابقة ما تم الاتفاق عليه والتعاون بشأنه والاتفاقيات السابقة التي كانت بين البلدان الثلاثة في الاتجاه الاقتصادي والأمن.

(1) جمال العطيفي : في حياة عبد الناصر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ ، ص١٦١، ١٦٢.

٦

عبد الناصر .. وثورة العراق عام ١٩٥٨

لكي نفهم أحداث العراق وثورتها في يوليو / تموز عام ١٩٥٨ وما قبلها، نستعرض تاريخها البشري، وموقعها الإستراتيجي، وتاريخ الأحداث فيها، حتى تتضح الرؤية، وتنكشف حقيقة الثورة من خلال تاريخ العراق وجغرافيته السياسّة والبشريّة.

أولاً: العراق: التاريخ السياسي والموقع الإستراتيجي:

- من المعروف تاريخيًا أنّ حضارة العراق في التاريخ البشري تليدة في القدم كشأنها في مصر وبلاد الشام «عامة» .. فمنذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ظهرت في العراق «القديم» حضارة «السومريين»، وتلتها في الوجود والنشأة حضارات أخرى، أهمها قاطبة حضارة «البابليين» في الألف الثانية قبل الميلاد، ثم حضارة «الآشوريين» في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد، ثم خضع العراق «التليد» للفرس في القرن السادس قبل المسيح، وقامت الحروب قديمًا مجالًا بين الفرس والأغريق «اليونانيين القدماء» أولًا، ثم بينهم وبين الرومان للاستحواذ والسيطرة، وإخضاع العراق.. حتى ظهرت الدعوة المحمدية في جزيرة العرب (في القرن السابع الميلادي)، فدخل العراق في الساحة الإسلامية الكبرى[1].

(1) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة، دار المعارف بمصر، طباعة عام ١٩٦٤، ص٢٠٩.

- وبدأ عهدًا جديدًا للعراق بلغ فيه أرقى درجات الحضارة والمجد.. فقد كان العراق، أو ما يسمى ببلاد ما بين النهرين Mesopotamia، كما كانت تسميه الغرب موطن الدولة العباسيّة، التي عاشت نحو خمسة قرون (٧٥٠م - ١٢٥٨م)، وامتدت فتوحاتها شرقًا إلى خراسان (أفغانستان)، وبعض جهات الهند غربًا إلى شمال أفريقيا، وأصبحت بغداد حاضرتها، والتي أسسها ووضع مداميكها الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ - ٧٥٤ - ٧٧٥م) في سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢م) أعظم حواضر الدنيا ومنها - أي: من بغداد - كانت تشعه أضواء الثقافة والحضارة العربية الإسلامية على العالم كله.

- ثم عدت على العراق عوادي الزمن ومصائب الدهر، فاجتاحه المغول أو التتر في (٢٧ يناير ١٢٥٨م العشرين من شهر محرم عام ٦٥٦هـ)، وقوضوا ملكه، وصار العراق منهبًا بين الأتراك من جهة، وفارس من جهة أخرى، واستمر القتال الدامي سجالًا بين الجانبين، إلى أن تغلب الأتراك العثمانيين - نهائيًا - في عام ١٦٣٨م في عهد السلطان مراد الرابع فرزح «العراق» مع سائر الأقطار العربية تحت نير الحكم التركي (العثماني) قرابة أربعة قرون تضاؤل شأن العراق خلالها، حتى لم يعرف عنه سوى أسماء ألويته العربية الثلاثة: بغداد والموصل والبصرة[1].

- وقد جدث في العراق في القرن الثامن عشر الميلادي أن ظهر فريق من المماليك يرجع أصولهم التاريخية إلى إقليم «جورجيا»، ونصبوا أنفسهم حكامًا

(١) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة، دار المعارف بمصر، طباعة ١٩٦٤، ص٢٠٩، ٢١٠.

وسلاطين على بعض أجزاء وأقسام البلاد، وكان سُليمان باشا (١٧٨٠-١٨٠٢م) أوسع هؤلاء المماليك صيتًا، وأحسنهم عملًا[١].

- وللعراق في العصر الحديث خصائص جغرافية واجتماعيّة إذا نحن أدركنا حقيقتها، وتعمقنا في كنهها استطعنا فهم تاريخه الحديث، وما أصابه من محن وملمات قاسي منهما كثيرًا.

- فالعراق دولة مساحتها حوالي ٤٣٤.٠٠٠ كيلومتر مربع، وموقعها الإستراتيجي - كما يقول الخبير الإستراتيجي أنتوني كوردسمان - في كتابه الضخم «بعد العاصفة» - عند الحافة الغربية للخليج، والجزء الشمالي منها يضعها بالقرب من الاتحاد السوفيتي (قبل تفكيكه)، ويعطيها حدودًا تمتد بين جنوب آسيا والشرق الأوسط The Middle East.

- فللعراق حدود طولها ١٤٤٨ كيومترًا مع إيران، ٣٣١ كيلومترًا مع دولة تركيا، ٦٠٥ كيلومترًا مع سوريا، ١٣٤ كيلومترًا مع السعودية، ١٩١ كيلومترًا مع المنطقة المحايدة السعودية العراقية، ٢٤٠ كيلومترًا مع دولة الكويت، والمخرج العراقي إلى الخليج العربي يمتد بطول ٥٨ كيلومترًا شواطئ في المياه الضحلة نسبيًا من الخليج والميناء الرئيسي لها على الخليج هي: «البصرة» التي يمكن الوصول إليها فقط عن طريق شط العرب وقاعدتها البحرية الوحيدة هي «أم القصر» التي يستوجب الوصول إليها المرور في قناة تشاركها فيها الكويت، وتسيطر عليها جزر كويتية هي: وربة وبوبيان[٢].

(1) محمد رفعت: المرجع السابق ذكره، ص٢١٠.

(2) أنتوني هـ. كوردسمان: بعد العاصفة التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط، ترجمة وتقديم وتعليق المشير عبد الحليم أبو غزالة، دار الهلال، (مجلد) بدون تاريخ ص٤٥٢، ٤٥٣.

- وفي عام ١٩٩١ كان تعداد العراق ١٩.٥ مليون نسمة بمعدل نمو يصل إلى ٣.٩٪ ، وهذا الحجم من السكان ينقسم - حسب رأي كوردسمان - إلى حوالي ٧٥٪ - ٨٠٪ عربي ، ١٥-٣٠٪ أكراد ، ٥٪ أتراك وآشوريين ، وغيرهم، وتوجد انقسامات دينية شديدة داخل العراق وطائفية مقيتة - فحسب تقدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA - أنّ العراق ينقسم إلى ٩١٪ مسلمون ، ٣٪ مسيحيون وآخرون ، كما ينقسم المسلمون إلى ٦٠ - ٦٥٪ شيعة ، ٣٢ - ٣٧٪ سنة .. وتشير بعض المصادر الأخرى إلى أن الشيعة ٥٠ - ٥٥٪ إذا ما اعتبر الأتراك والأتراك ضمن السنة[1].

- وفي الوقت الذي تقع فيه دولة العراق في منطقة تلعب دورًا حيويًا في التاريخ، فإن حدودها الحاليّة تكونت بمحض الصدفة ، وليست حدود متوارثة على مر التاريخ ، وكر الدهور .. فالأراضي التي تشمل العراق (الحديث) خضعت للحكم العثماني (التركي) عام ١٦٣٨ م ، ولكن لم يكن هناك ثمة دولة عراقية أو أمة في إطار حدودها الحالية قبل الاحتلال التركي والمنطقة المحيطة ببغداد لم تستعد «بغداد» ما كانت عليه بعد أنّ نهبها تامرلان عام ١٤٠١م ، وإبادة كل مكان بالمنطقة.. ولم يعامل الأتراك (العثمانيون) المنطقة ككيان متكامل وإنما نظموها في ثلاث مديريات (ولايات) تابعة للإمبراطورية العثمانية التركية - كما أشرنا من قبل وهي بغداد والموصل والبصرة..وحتى عندما سيطر الأتراك على هذه الولايات من اسطنبول ، فإنهم لم يحاولوا - وقتئذ - فرض حكم مباشر على كل المجموعات العراقية والقبلية التي تتكون المناطق التي تشغلها

(1) أنتوني هـ. كوردسمان : مرجع سابق ذكره ، ص٤٥٣.

العراق وإنما ركزوا على السيطرة والهيمنة على المناطق الحضريّة (المدن أساسًا) وخطوط المواصلات الحيوية ، والتي ذات شأن[1].

- وقد بدأ ازدياد بريطانيا (العظمى) في المنطقة بسبب الاهتمام بأمن الخليج (العربي)، وطرق الاقتراب من الهند والتنافس مع ألمانيا على النفوذ والتغلغل داخل الأمبراطورية العثمانية (التركية) وخلال الحرب العالمية الأولى عاملت بريطانيا (العظمى) العراق كشيء هامشي وغير محوري ضرورته تكمن في حماية المصالح النفطية في إيران ، حيث اكتشف النفط (البترول) عام ١٩١٢ ، وعند ذاك حضرت بريطانيا (العظمى) شط العرب ، لتسمح للسفن الضخمة بالتحرك إلى البصرة لأول مرة ، وتحويلها إلى ميناء هام ، وله معنى ودور .. وقد تعرضت بريطانيا للنكسات عام ١٩١٦م ، ولكنها استطاعت استرداد «بغداد» في مارس عام ١٩١٧ م ، والموصل في أكتوبر ، وبحلول عام ١٩١٨م كانت بريطانيا (العظمى) تحتل كل العراق الحديث[2].

- وفي الخامس والعشرين من شهر أبريل عام ١٩٢٠م منحت بريطانيا الانتداب (مستوى أ) على العراق بواسطة عصبة الأمم ، وعينت السير بيرسي كوكس كضابط سياسي عام ، ولكنه وبدوره منح كل سلطاته لنائبه الكولونيل أرنولد تالبوت ولسون.

- وفي الوقت الذي كان العراق يعيش في شبه فوضى وحرب أهلية واسعة النطاق ضد مملكة قبلية شيعية في المدن المقدسة (النجف - كربلاء) ، وثارت

(1) أنتوني هـ. كوردسمان: بعد العاصفة التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط ، ترجمة وتقديم وتعليق المشير عبد الحليم أبو غزالة ، دار الهلال ، ص٤٥٤ بدون تاريخ.

(2) أنتوني هـ. كوردسمان: مرجع سابق ذكره ، ص٤٥٤.

هذه المملكة عندما أعلن – وقتئذ – أن العراق قد أصبح بالفعل تحت سنابك الانتداب بدلًا من الاستقلال Autonomy كجزء من العالم العربي The Arab World .

– وجلبت بريطانيا (العظمى) قوات برية وجوية، لاستعادة السيطرة والهيمنة Hegemony ، وكانت ثمن هذه الثورة Revolution أرواحًا ودمارًا اقتصاديًا أدى إلى صرف نظر وغض طرف بريطانيا عن الاحتفاظ بسيطرة مباشرة على الدولة (العراقية) ، وقامت بريطانيا (العظمى) بإجراء استفتاء شعبي من سؤالٍ واحد لخلق ذريعة – كما يذكر الخبير الإستراتيجي أنتوني كوردسمان – لبقاء العراق تحت ملك بريطانيا.. وتاجها[1].

– وكان الملك الذي اختارته بريطانيا (أجنبيًا) ، وهو الأمير فيصل ابن الشريف حسين ، والذي جاء من الأسرة المالكة الهاشمية ، التي حكمت الحجاز .. وقد اختارته بريطانيا ؛ لأنها كانت مدينة للهاشميين لدورهم في ثورة العرب ، التي ساعدت – فعليًا – في إرهاق القوة العسكرية التركية (العثمانية) خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨).

– وقد حصل فيصل ابن الشريف حسين على تأييد معظم العراقيين السنة وقادة الشيعة، وتم تتويجه ملكًا في ٢٣ أغسطس ١٩٢١م ، وقامت بريطانيا (العظمى) بتأمين حكمه ، وذلك بترك مفرزة (عسكرية) من القوات الملكية البريطانية في البلاد.. وحصل الملك كذلك على دعم كثير من الضباط العرب ، الذين أدوا الخدمة العسكرية في الإمبراطورية العثمانية ، وانضموا إلى الشباب

(1) أنتوني هـ. كوردسمان: بعد العاصفة ، دار الهلال ، مصر ، ص٤٥٤.

التركي ، ثم إلى ثورة العرب بقيادة الشريف حُسين .. كما دعم هؤلاء الضباط الملك ؛ لأن تركيا ضغطت بشدة على الدول الجديدة ، لإعادة ولاية الموصل ، وأن العراق واجهت تمردًا من كثير من الأكراد والآشوريين ، الذين شملتهم هذه الأراضي.

- وكان أقوى الضباط حول الملك فيصل بن حُسين هو نوري السعيد ، الذي كان رئيس لأركان الجيش العراقي ، وكان أقوى شخصية في العراق معظم العشرينيات (من القرن العشرين) ، وبذل جهدًا كبيرًا لتوسيع القوات المسلحة للعراق ، وبحلول الانتداب البريطاني عام ١٩٣٢م كان الجيش أقوى قوة في المجتمع العراقي[١].

- وتوفى الملك فيصل الأول ابن الشريف حسين في لندن في الثامن من سبتمبر عام ١٩٣٢ ، وكانت العراق - وقتئذ - تعاني من تمرد للآشوريين ، فحل محله ابنه غازي (٢١ سنة) ، وكان نتيجة ذلك وجود حكومة هزيلة وضعيفة فقدت قوتها للعسكريين العراقيين.

- وفي عام ١٩٣٦م قام الجنرال بكر صديق بانقلاب عسكري لم تشأ الأحداث والظروف أنّ يبقى إلا مدة قصيرة من الزمن ، وتم اغتياله في عام ١٩٣٧م ، وحدثت بعد ذلك ستة انقلابات في عام ١٩٤١م ، وبقيت الدولة State تحت الحكم العسكري، وأصبح العسكريون في العراق ضد بريطانيا (العظمى) بسبب أحداث فلسطين[٢].

(1) أنتوني هـ. كوردسمان: بعد العاصفة ، التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط، ترجمة وتقديم وتعليق المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة ، دار الهلال ، ص٤٥٤.

(2) أنتوني هـ. كوردسمان: مرجع سابق ذكره ، ص٤٥٥.

- وفي الوقت الذي قطعت فيه العراق علاقتها الدبلوماسيّة مع ألمانيا (النازية) عام ١٩٣٩ (عام بداية الحرب العالمية الثانية) رفض البعض من العسكريين هذا الإجراء، الأمر الذي أدى إلى قيام انقلاب عسكري ضد بريطانيا (العظمى) عام ١٩٤٢.

- فقد قام الجيش العراقي بمحاصرة القوات الجوية الملكية في «الحبانية» فردت بريطانيا بغزو العراق، واحتلتها حتى عام ١٩٤٥م.

- وبعد عام ١٩٤٥م بقيت العراق تحت حكم ملكية غير مستقرة موالية للغرب، وشخصيات مثل نوري السعيد، وبقيت الملكية في السلطة أساسًا بسبب نمو ثروة العراق بسبب البترول، ودعم بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ولكنها لم تحظ إلا بدعم من المثقفين أو معظم الضباط من الرتب الصغيرة، وأصبح مؤيدو عبد الناصر (١٩١٨- ١٩٧٠)، وحزب البعث أكثر نفوذًا، وتعاظمت قوة الوطنية العراقية المعادية للملكية، ووصلت هذه الضغوط - إلى ذروتها - في ١٤ يوليو «بانقلاب» أدى إلى مقتل فيصل الثاني (١٩٣٥ - ١٩٥٨)، وولي العهد، ورئيس الوزراء نوري السعيد[1].

وسوف نوضح تفصيلات هذا الصدد فيما يلي:

(1) محمد رفعت: التوجيه السياسّي للفكرة العربية الحديثة، دار المعارف بمصر، طباعة عام ١٩٦٤، ص٢٦٧.

ثانيًا: عبد الناصر.. وثورة ١٤ يوليو (تموز) ١٩٥٨:

فيصل الثاني ملك العراق

حتى إذا حان الفصل «الأخير»، وحانت ساعة الحساب في فجر يوم ١٤ يوليو (تموز) سنة ١٩٥٨م، وهو اليوم الذي كان محددًا لذهاب ملك العراق فيصل الثاني (١٩٣٥ – ١٩٥٨)، ونوري السعيد بالطائرة إلى إسطنبول (تركيا)، لحضور مجلس حلف بغداد.

-كان إخفاق سياسة نوري السعيد في العراق في السنوات الأخيرة في مقدمة حيثيات الحكم، الذي أصدرته الثورة Revolution بالقضاء على العهد القديم ورجاله.

- ففي ذلك اليوم استولى الضباط الثوار على بغداد وإذاعتها وتليفوناتها، وهاجموا ومعهم زمر من الشعب العراقي قصر الملك – كما يذكر محمَّد رفعت – في كتابه «التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة»؛ حيث أسقطوا (على القصر) قنبلة قضت على الملك فيصل الثاني (١٩٣٥ – ١٩٥٨)، وعدد من أفراد أسرته، كما قضوا على عبد الإله ولي العهد وخال الملك، ثم على نوري السعيد بعد ذلك.. وكان قد حاول الفرار متزيِّيًا برداء امرأة عربية، وقد بلغ عدد القتلى في ذلك اليوم ثلاثين قتيلًا، وقد قاد الثورة Revolution ودبرها ضابطان: عبد الكريم قاسم، وعبد السلام عارف، ولم يكن لهما برنامج مدروس – كما يذكر محمد رفعت – ولا سبق لأحدهما أن مارس شؤون الحكم والإدارة[1].

(1) محمد رفعت: المرجع السابق ذكره، ص٢٦٧.

وقد كتب الباحث العراقي عبد الكريم العلوجي عن أحداث ثورة ١٤ يوليو/ تموز عام ١٩٥٨ في كتابه «نهر الدماء في العراق حقيقة مجزرة العائلة المالكة في ١٤ تموز ١٩٥٨» واصفًا نهايتها بشكل مأساوي، وبصورة مختلفة بعض الشيء عن بعض الكتابات الأخرى، ومتعاطفًا مع مأساة الملكية ونهايتها الدرامية قائلًا: «كانت طاحونة القتل في العراق صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨ على الشكل الذي حدثت فيه الجريمة في العراق مجازر رهيبة، لم يشهدها في تاريخه بكل ما يتمثل هذا التاريخ من مآسي القتل والفوضى، التي تشهدها اليوم في العراق. . إن التاريخ سوف يسجل على هؤلاء الذين أقدموا على مقتل الأسرة المالكة، التي خرجت مستسلمة، رافعة الراية البيضاء والمصحف، وهي مطمئنة للوعود، التي قدمت لها من قبل ضباط الثورة بالحفاظ على حياتهم، والخروج من العراق سالمين، ولكن ما حصل هو أن قام أحدهم، وهو النقيب عبد الستار العنوسي، والذي كان متواجدًا داخل القصر في اللحظة التي خرج بها الملك فيصل الثاني (١٩٣٥-١٩٥٨)، حيث رفع يده يؤدي التحية العسكريّة للضباط الموجودين أمامه، واغتصبت ابتسامة تراقص على شفتيه، وظهرت خلفه جدته، وهي تحاول أن تجعل الجميع أن يشاهدوا القرآن بيدها، فكان النقيب عبد الستار العنوسي داخل قصر الرحاب، فترك القصر، ونزل هابطًا درجات الباب الأمامية ورشاشته بيده، واستدار إلى اليمين، فشاهد الأسرة المالكة كلها تسير في صف تاركة باب المطبخ، وبعد أقل من نصف دقيقة كان النقيب العنوسي يقف خلف العائلة المالكة تمامًا.. وبملح البصر.. فتح نيران رشاشته من الخلف مستديرًا من اليمين إلى اليسار، فأصابت رشاشته الثمانية والعشرين طلقة ظهر الأمير عبد الإله، ورأس ورقبة الملك فيصل الثاني

الأميرة عابدية كبرى بنات الملك علي وخالة الملك فيصل الثاني اشرفت على تربيته بعد وفاة والدته

(١٩٣٥ – ١٩٥٨م)، وظهر الملكة والأميرة عابدية، ثم لم يلبث أن فتح مصطفى عبد الله نيرانه من الأمام على الموجودين أمامه.. وفتح بقية الضباط المشكلين نصف حلقة نيران رشاشتهم، وجاءت النيران من الأمام ومن الخلف، ومن كل ما يحمل سلاحًا في تلك اللحظة.. أصيب الملك بعدة طلقات فتحت جمجمته، وسقط في أحضان الأميرة هيام، التي تهاوت أرضًا، وقد أصيبت برصاصة في فخذها، وسقط الأمير عبد الإله قتيلًا على الأرض.. ونالت الأميرة عابدية والملكة نفيسة حظهما من رصاص المهاجمين، فتمرغت أرضًا، وهما تلفظان أنفاسهما الأخيرة، وآثار منظر الدماء وأصوات الطلقات النارية جنون ضابط المدرعة، ففتح نيران رشاشته الثقيلة على الأجسام الملقاة أرضًا، فحرثها حرثًا[1].

وفي معرض آخر ذكر العلوجي واصفًا مأساة العائلة المالكة قائلًا: «كانت الميتة المؤلمة للأسرة الهاشمية المالكة في العراق.. والمصير الشنيع لجثة الأمير عبد الإله (رحمه الله)، التي تلاشت في شوارع بغداد.. فاتحة لميتات وقتل أشنع وأبشع منها، فنوري السعيد رئيس الوزراء (رحمه الله) قد اضطر إلى الانتحار بعد أن حاصرته الثورة (Revolution) تعقبته في كل مكان آوى إليه.. وانتهت جثته

(1) دكتور عبد الكريم العلوجي: نهر الدماء في العراق، حقيقة مجزرة العائلة المالكة في ١٤ تموز ١٩٥٨، مكتبة جزيرة الورد، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.، ص٦.

سحقًا بالأقدام وتحت إطارات السيارات ، وسحلًا في شوارع بغداد ، ولم ينج رئيس وزراء الأردن ، والوفد السياسي الأردني القادم إلى بغداد من قتله وميتة ونهاية أليمة مماثلة.. وشمل القتل والسحل وتمزيق الجثث بعض الأجانب والأوروبيين ، الذين قدموا إلى بغداد للتجارة أو الاستشارة أو كموظفين في الحكومة أو لدى الشركات»[1].

-وبغض النظر عن التعاطف مع الملكية في العراق أو التوجع على مأساة الجريمة ، وبشاعة القتل ، وحدوث المجزرة .. فقد حدث ما حدث ، ولا راد له، ولكن يهمنا الآن مناقشة الثورة ومقتضياتها ، وموقف عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) من أحداثها وظروفها وملابساتها.

– ونستطيع أن نقول: أنه لم يكن قيام ثورة ١٤ يوليو (تموز) عام ١٩٥٨ أمرًا غير متوقع ، إلا لأولئك الذين أخفوا رؤوسهم في الرمال كالنعامة ، فانقضت عليهم انقضاض الصاعقة المباغتة والماحقة ، فهؤلاء قد صوروا العراق كما يشتهون.. جزيرة يسودها الاستقرار والاعتدال والتقدم وسط بحر شرقي أوسطي متلاطم الموج ، فوار الحركة.

– فقد كانوا يشيرون إلى نوري السعيد على أنه الرجل القوي ورئيس الوزراء الدائم بثبات الجبال الرواسخ ، أتقن فن التعامل مع مختلف القوى في البلاد لخدمة الأسرة الهاشمية والتحالف مع بريطانيا وإلى عائدات النفط المستخدمة في بناء السدود الضخمة المفترض أنها زادت العمالة ، ونشرت الرخاء والسعة ، مع الاعتراف بفساد الإدارة ، وطغيان الحكم، فقد اعتبر ذلك من الأمور العادية في

(1) دكتور عبد الكريم العلوجي: المصدر السابق ذكره ، ص٢٣٤.

ذلك الجزء من العالم[1].

- كانت السنوات الفاصلة بين قيام حلف بغداد وسقوط النظام الملكية فترة أزمة في علاقات العرب بالغرب، إذ كان العرب يحاولون تحرير أنفسهم من التبعية التقليدية، بينما استمرت الدول الغربية في المحافظة على هذا الوضع.. وقد وقف نوري السعيد «رئيس الوزراء» إلى جانب الارتباط بالغرب معارضًا بذلك التيار العام، الذي تزعمته مصر، وما أن أصبحت إزالة جمال عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) سياسة مقررة للحكومة البريطانية كان يطلقون نوري على كل تطور وعزم، حين يتقرر، وكان موقف نوري وإيدن واحدًا بشأن أزمة السويس (عام ١٩٥٦)، فقد خشي نوري وعبد الإله «أن يُطاح بهما» إذا نجح عبد الناصر[2].

- أما الشعب فكان مع عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠)، وكاد العدوان الثلاثي على مصر «إنجلترا - فرنسا - إسرائيل» أنّ يطيح بالحكومة العراقية وأثار الغضب من حكومتهم، والتعاطف الجيد مع مصر سلسلة من الاضطرابات الدموية، ففي الموصل والنجف استدعى الجيش لمساعدة الشرطة، وثار الفلاحون العراقيون في الكوت، وقد أغلقت المدارس والمعاهد، وعُطل البرلمان، كما أعلنت الأحكام العرفية، ونجا النظام من هذه التظاهرات بصعوبة شاقة، ولكن أيامه باتت معدودة[3]

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب، ترجمة فريد أبو عز الدين - دار المستقبل العربي، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٩٨٨، ص٢٢٤.

(2) نجلاء أبو عز الدين: مرجع سابق ذكره، ص٢٨٨.

(3) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب، ص٢٨٨.

- في سنة ١٩٥٨م كان نوري السعيد (رئيس الوزراء) أكثر صراحة في عدائه وصراعه مع عبد الناصر، ودافع جهارًا عن التدخل البريطاني / الأمريكي في لبنان والأردن، وتهيأ للعمل بالاشتراك مع هاتين الدولتين، فأمر نوري وحدات من الجيش العراقي بالتوجه إلى الأردن، والانتظار هناك لتعليمات جديدة، وإشعار آخر. وهذه هي الوحدات التي وهي تمر ليلًا قرب بغداد تحولت إلى العاصمة، فاستولت عليها وأطاحت بالملكية.

- ظلت الدوافع الثورية لعدة سنوات تعتمل في قلوب الجماهير العراقية، وكانت تنطلق من حين لآخر في تفجيرات متقطعة.. ولم يكن للناس الأداء التي تمكنهم من مواجهة متكافئة لقوى الأمن التابعة للنظام فقط إذا تحرك الجيش كان يمكن القضاء على النظام السياسي الحاكم.. كما كان وراء الجيش - في ١٤ تموز (يوليو) عام ١٩٥٨ تأييد شعبي واسع كان متدفقًا لتحريك الثورة.

- إن البناء السياسي الذي قام طيلة سنوات على القمع والقهر والرشوة والدعم الأجنبي انهار، كما لو كان بيتًا من ورق، له صفة «كرتونية» هشة.. فلم ترتفع يد للدفاع عنه، فقد كشف انهياره المفاجئ والتام، وما صحب ذلك من الغضب العارم مدى زيفه وعمق الكراهية المقيتة له، لقد اعتمد البناء كله على رجل واحد هو: نوري السعيد، والذي كان منبت الصلة بالشعب، كما كان غريبًا عن القوى الجديدة في العالم العربي The Arab World، وفي العالم ككل[1].

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب، ترجمة فريد أبو عز الدين - دار المستقبل العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ص٢٨٨.

- والجدير بالذكر في هذا الصدد أن الثورة العراقية قد جاءت في وقتها بالفعل ، حيث أطاحت بالنظام الملكي وإعلان الجمهورية العراقية ، بعد أن تم توريطها في اتحاد هاشمي (عراقي / أردني) كمحاولة استعمارية معادية بالتعاون (المغرض) مع القوى المناوئة للجمهورية العربية المتحدة ، وكان ذلك بمثابة خطوة مضادة ومناقضة لوحدة مصر وسوريا من جهة ، ولتفريغ وامتصاص الشعور القومي العربي الواعي والجارف بالعراق فقد مثلت الوحدة السورية المصرية (فبراير ١٩٥٨) قاعدة ثورية وحدوية ارتآها الاستعمار Colonialism تهدد مصالحه وتعوق ربيبته إسرائيل من الشمال والجنوب[١].

- ومن ثمَّ.. استطاعت ثورة العراق في ١٤ يوليو (تموز) عام ١٩٥٨ م أن توجه لطمة كبيرة وصادمة للنظام الاستعماري الغربي في المنطقة بعد أن كان العراق (الملكي) منطلقًا للمؤامرات والمناورات والدسائس ضد الحركات الوطنية التحررية وضد القوى الثورية بصفة عامة[٢].

- وقد سافر عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) للعاصمة السوفيتية موسكو «سرًا» بعد أن قطع زيارته ليوغسلافيا - للإطلاع على رأي القيادة لمعرفة ردود أفعالها ضد التعدي على الثورة العربية العراقية ، حيث قام الجانب السوفيتي بعمل مناورات عسكرية كبيرة على الحدود البلغارية التركية.

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو، دراسة تاريخية»، تحرير د. رءوف عباس حامد ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام ، يوليو ١٩٩٢ ، ص٢٢١.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في كتاب أربعون عامًا على ثورة يوليو، دراسة تاريخية، تحرير د. رءوف عباس حامد ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام ، يوليو ١٩٩٢ ، ص٢٢١.

- وقد ساند عبد الناصر الثورة Revolution بكل وسائل التدعيم والمساندة ، وقد أوفد مجلس الوزراء العراقي وفدًا لمقابلة عبد الناصر بعد وصوله «دمشق» عائدًا من موسكو، تألف من العقيد عبد السلام عارف ، ومحمد صديق شنشل ، ومحمد حديد ، وعبد الجبار الجومرد ، حيث تم التوقيع على اتفاقية التعاون بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية على تأكيد ما يربط بين البلدين من عهود ومواثيق، وفي مقدمتها ميثاق الجامعة العربية ، والتأكيد على ما أعلنته حكومة البلدين من ارتباط وثيق بينهما إزاء الموقف الدولي وتصميمهما على الوقوف كبلدٍ واحد في الدفاع ضد أي عدوان عليهما ، أو على أي منهما ، والتعاون الكامل والمثمر في المحيط الدولي، للمحافظة على حقوق البلدين ، واتخاذ الخطوات العاجلة والناجزة – دون تباطؤ – لتنمية التعاون الاقتصادي والثقافي المشترك بين البلدين ، والتعاون والتشاور بين البلدين في جميع الشؤون والقضايا التي تهمهما [1].

- وغني عن البيان أنه قد كان لهذا الاتفاق مفعول السحر في تدعيم وطمأنة الثورة بأنها لن تكون بحالٍ من الأحوال وحيدة في الميدان في حالة العدوان عليها من دول حلف بغداد أو من الأردن[2].

- وبذا كانت ثورة ١٤ يوليو / تموز انفجارًا مدويًا في الشرق الأوسط The Middle East اهتزت له أرجاء العالم ، وبادرت القوى المختلفة تراجع حساباتها وتقيم مواقفها وتواجه الموقف الجديد على الساحة السياسية ، والذي

(1) د. فؤاد المرسي خاطر: الاتجاه القومي العربي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ص٢٢٣.

(2) د. فؤاد المرسي خاطر: مرجع سابق ذكره ، ص٢٢٣.

نشأ بعد ست سنوات من ثورة يوليو عام ١٩٥٢ ، وفي أقل من سنتين على العدوان الثلاثي على مصر[١].

– وكان لوقوع الانفجار في مقر حلف بغداد أكثر مما تحتمله أعصاب الإمبريالية ، لأنه كان يعني بالتأكيد رجحان كفة الحرب الأهلية في لبنان لصالح المواطنين ، وانهيار الحكم في الأردن ، ولذا نزل الأسطول الأمريكي في بيروت ، وهبطت قوات المظلات البريطانية في الأردن قادمة عبر إسرائيل «الصهيونية» لتنقذ عرش الملك حُسين بن طلال بعد أن غرق الاتحاد بين الأردن والعراق[٢].

والأوراق التالية سوف تبين بجلاء حقيقة مناصرة عبد الناصر للقضايا العربية ومناهضة الاستعمار الغربي ، وتطويق توسعه الإمبريالي في المنطقة العربية، وخاصة في أقطار الأردن ولبنان والصومال.

(١) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليو (مصر والعسكريون ، مجتمع جمال عبد الناصر ، عبد الناصر والعرب) ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٢ ، ص٨٠٤.

(2) أحمد حمروش: مرجع سابق ذكره ، ص٨٠١.